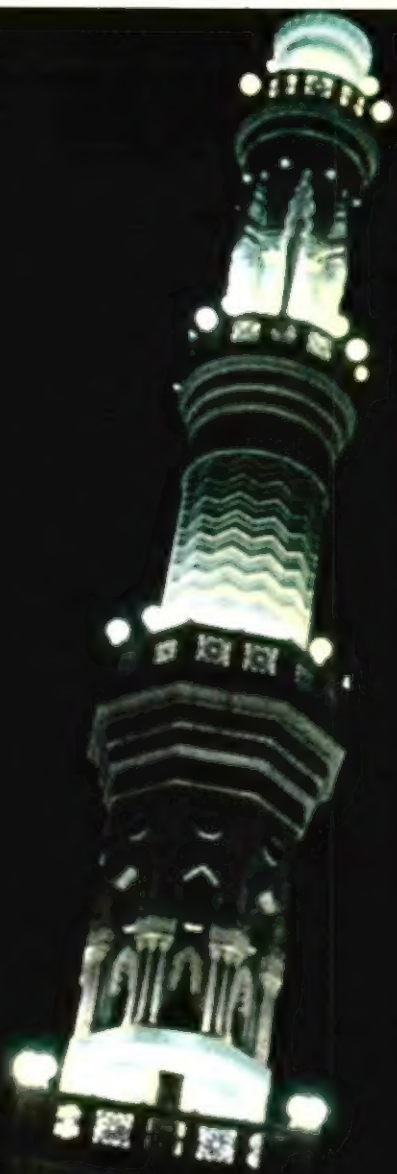


خافله الزيت

رمضان ١٣٩١ - اكتوبر / نوفمبر ١٩٧١





المكتبات راجع خصبة بجني منها المنقذون عمار العلم ولعرفت
 (راجع مقال: المكتبات مراكز لهدوء انتقائي) نصر: علي محمد خليفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد التاسع المجلد التاسع عشر

تصدُر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - تنوع مجاًناً

محتويات العدد

- هذا الشهر المبارك عبد القدوس الانصاري ٤
العقل والفكر في القرآن الكريم أحمد عبد الرحيم أحمد عبد الرحمن ٥
الاحصاء في الاسلام د. أحمد الشرباصي ١٠
من وحي رمضان (قصيدة) د. زكي المحاسني ٢٣
أطلال (قصيدة) محمد حمد الصويغ ٣٠
معركة الأرك (قصة) عبد الله حثيمة ٣٣
أخبار الكتب ٤٥

- سيكولوجية اللامبالاة د. عبد الرحمن عدس ٣١
العنصر البشري وتأثيره على تطور الانتاج الزراعي د. عبد الرحمن الصغير ٤٧
أزمة البيئة الطبيعية د. فؤاد صروف ٣٨
التهديب بالوسيط الكيماوي ٢٥

- المكتبات ، مراكز الاشعاع الثقافي ١٣
مدينة الزهراء الأندلسية محمد عبد الله عنان ٤١

- كل ما ينشر في قافلة الزيت بغیر أقلام هيئة التحرير يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة " أو عن إختصاصها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "القافلة" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "القافلة" إلا المواضيع التي لم ينشر سابقاً، وهي تؤثر تلقى النسخة الأصلية مطبوعة على آلة الكتاتبة، ومنقحة.
- يتم تنسيق المواضيع في كل عدد وفقاً لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع.
- تنسيق المقالات على النحو الذي تظهر فيه تجري عادة وفقاً لظروف يقتضيها نهج القافلة " .

المدير العام مصطفى حسن إنخان المدير المسؤول علي حسن قنديل
رئيس التحرير منصور مدني المحرر المساعد عوني ابوشك
العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

الفتى على صورة الغلاف

في شهر رمضان المبارك تعمر بيوت الله ويشيع الايمان في القلوب

تصوير سعيد الغامدي

هَذَا الشَّهْرُ هُوَ الْمُبَارَكُ

بقلم الاستاذ
عبد القدوس الانصاري

شهر رمضان المبارك ميزات بارزات على سائر الشهور . وهذه الميزات الكبيرة الخالدة التي اختص الله بها شهر الصيام وحياء فضلها المبين دون سائر شهور السنة هي متعددة الجوانب . منها أنه الشهر الوحيد الذي ورد ذكره في «الذكر الحكيم» نصاً . قال الله تعالى في محكم كتابه : «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» وبقية شهور السنة ليس بينها من ذكره القرآن نصاً ، كما ذكر شهر رمضان .

ومن مزاياه البارزة أن الله تعالى مدحه بمحكم كتابه في الآية السابق ذكرها . قال الامام ابن كثير في تفسيرها : يمدح الله شهر الصيام من بين سائر الشهور ، بأن اختاره من بينهن «لأنزال القرآن العظيم» . وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الالهية تنزل فيه على الأنبياء .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» . (١)

ونزل القرآن في شهر رمضان ، كان جملة واحدة الى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة ، ثم أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة لجواب كلام الناس . (٢)

ومن مزايا هذا الشهر المبارك أن الله جلت عظمته وحكمته ، اختصه من بين سائر شهور السنة بفرضية الصيام في دين الاسلام ، فيصوم فيه — فرضاً محتملاً — المؤمنون البالغون العقلاء القادرون غير المعذورين بالأعذار التالي بيانها ، ثلاثين يوماً ، أو تسعة وعشرين اذا كان الشهر ناقصاً . والصوم في رمضان ليس صوم وصال أي صوم النهار مع الليل معاً ، فذلك ما لا يطيقه الانسان . والله لا يكلف الناس الا ما في وسعهم ، وانما يجب الصوم في بياض نهار رمضان فقط ، أي من السحر الى غياب الشمس .. أما الليل فيباح فيه للمسلم الصائم كل ما يباح له في غير شهر الصوم من أكل وامتناع وشرب وما الى ذلك . ومن مميزات شهر رمضان المبارك التي لا تنسى

انه كان شهر الفتوح الاسلامية الأولى ، ففيه كانت غزوة بدر أول فتح حربي في الاسلام وفيه كان فتح مكة السلمي وكان هذا الفتح فتح الفتوح في الاسلام .

والمعذورون في نظر الاسلام ، من عباد الله البالغين ، منهم من اذا أبيح له الفطر لعذره الواضح ، فيجب عليه القضاء اذا زال هذا العذر عنه . ومن هؤلاء : المسافر والمريض الذي يرجى بروه ، والحائض اذا زال عنها الحيض ، والنفساء اذا انتهت المدة المعينة لنفاسها ..

ومن «المعذورين» طائفة رفع عنهم الصيام رفعة واحدة ، لأن أعذارهم لا تقضي ولا تنقطع .. وهؤلاء هم المرضى العاجزون عن الصيام في أمراض لا يرجى بروتها ، والشيوخ الهرمون القانون . وعلى هؤلاء — على تفصيل واختلاف بين العلماء — فدية طعام مسكين عن كل يوم .

وصية المسلم القادر البالغ لشهر رمضان هو في صميم مصلحته الدنيوية والدينية .. فالمرء يتناول مختلف الأطعمة والأشربة بدون توقيت أو ميزان — على الأغلب — طيلة شهور السنة الأحد عشر ، فيسوء هضمه ، وتتضرر صحته تضراً يلزمه هو ويشعر به في دخيلة نفسه ويشاهده من يعرفه على قسمات وجهه وفي تلايف جسمه .. فاذا حل شهر الصيام ، كان هذا الشهر الحد الفاصل لما يتناول وما لا يتناول ، وكان فيه تحديد ما يأكل ، فيأكل أكلاً خفيفاً يقيم صلبه — هذا اذا تسك بتعاليم الاسلام — ويتباعد عن الأكلات الدسمة التي توجب التخمة وامتلاء البطن وانتفاخ الأمعاء .. فيضمّر جسمه المترهل وتشتد عضلاته ويعود اليه ما افتقده من صحة أثناء شهور العام الأخرى .. ويزيد هذا «المحصول الصحي» نضرة واشراقاً واتلاقاً ، في كيفية وكمية ، بما يقوم به أثناء الليل من صلاة التراويح ، وبما يقلّله أثناء النهار من نوم ، وبما يكثّره فيه وفي الليل من قراءة القرآن بلسم الأرواح وحادي البهجة والمتعة الفكرية . فتكون هذه الأعمال كلها روافد لأمنه الصحي والروحي ومعتته .. فاذا هو مشرق الجسم بالصحة ، مشرق الروح بالفرحة ، والايمان والعمل الصالح

المبرور والعبادة الخالصة لوجهه الله : «الصوم لي وأنا أجزي به» .. كما ورد في حديث قدسي معروف . وهكذا يجمع الصوم للمسلم الصائم مزايا جمّة ، لصحته وقوته ، وعصمته ، ونفعته بأريج سماوي عطر من أريج الملائكة الأطهار في ساعات النهار .. فالملائكة من ميزاتهم أنهم لا يتناولون طعاماً ولا شرباً ، ولا يفكرون عن ذكر الله وتسيبته ..

وبعد ، فان في صيام شهر الصيام «رياضة مزدوجة» .. فيه رياضة روحية تصهر كل الآثام وتكبح جماحها ، وتزرع في قلب المرء مزايا سامية ، يتحوّل بها من السلبية الى الايجابية ، ومن الضحالة الى العمق والالهام .

وفيه كذلك رياضة جسمية بارزة ، اذ يجعل الصيام المرء محدود المَطْعوم والمشروب واذ يخصص وقتاً معيناً لاحتجائه عن تناول المَطْعوم والمشروب ، ووقتاً آخر معيناً لتناوله ، كل ذلك بنظام في منتهى الدقة والحكمة كيما يجعل للانسان سبيلاً قوياً لا حبا الى حماية صحته وتفكيره من غوائل الانهباك والافراط فيما قد يعود عليه بالضرر .

ان شهر الصوم اذن هو «دورة رياضية سنوية قدرها الله لعباده المؤمنين» ووقت لهم زمنها ، وحدّد لهم كيفيتها وكميتها وثاريتها رحمة بهم ولطفاً ، ونعمة عليهم وعطفاً .

ومن كمال عنايته بالمؤمنين من عباده أنه قرر لهم بعد استكمالهم اجراءات هذه الدورة الرياضية السنوية الروحية القيمة ، ذات الأثر العميق والايجابي في نفوسهم ومعنوياتهم وذاتياتهم وأرواحهم ، يوم مهرجان حافل بالافراح والبهجة والمتعة أباح لهم فيه كل ما كان محرماً عليهم في أنهر (٣) رمضان من مباحات الأمور في شرعه الحكيم ، وحرم فيه عليهم ما كان واجباً عليهم أدائه ، بالأمس في بياض تلك الأيام من رمضان ، الا وهو «الصوم» . وهذا المهرجان ، مسك الختام لشهر الصيام ، هو «يوم عيد الفطر الميمون» .. وكل عام ليحتفل المسلمون بشهر رمضان ، ويفرحوا بعد صيامه ، بمسك ختامه ، وزهرة نظامه ■

العقل والفكر في القرآن الكريم

بقلم الأستاذ أحمد عبد الرحيم أحمد عبد الرحمن

ولا يأتي تكرار الإشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها . وتعتمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته .

فلا ينحصر خطاب العقل ، في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ، ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح . بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة أو وظيفة . فالعقل في مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي ، أو المنع من المحذور والمنكر .

ومن خصائص العقل :

• انه ملكة الادراك التي يناط بها الفهم والتصور ، وهي على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقي وادراك أسبابه وعواقبه ، تستقل أحيانا لادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهي .
• وانه يتأمل فيما يدركه ويقبله على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ويبني عليها نتائجها وأحكامها .

وهذه الخصائص في جملتها تجمعها ملكة «الحكيم» وتتصل بها ملكة «الحكمة» ، وهي تتصل كذلك بالعقل الوازع اذا انتهت حكمة الحكيم به الى العلم بما يحسن وما يقيح ، وما ينبغي له أن يطلبه وما ينبغي له أن يأباه .
• ومن أعلى خصائص العقل الانساني «الرشد» وهو مقابل لتمام التكوين في العقل الرشيد . ووظيفة «الرشد» فوق وظيفة العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم ، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النصح والتمام والتميز بميزة الرشد ، حيث لا نقص ولا اختلاف . وقد يوثق الحكيم من نقص في الادراك ، وقد يوثق العقل الوازع من نقص في الحكمة . ولكن العقل «الرشيد» ينجو به «الرشد» من هذا وذلك . وفريضة التفكير من القرآن الكريم تشمل العقل الانساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ووظائفها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا ، بل يذكره مقصودا مفصلا .

أوضح سمات القرآن الكريم التي لفتت نظر الباحثين والدارسين في القرآن أشاداته بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه للوصول الى الحقيقة وما يفيد المجتمع الانساني في مسيرته عبر الحياة .

وقد دعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر الى تعظيم العقل والرجوع اليه . والعقل في اللغة العربية ضد الحق ، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن ، وهو القوة المتهبة لقبول العلم .
ويقال للعلم الذي يستفده الانسان بتلك القوة «العقل» أيضا ، ولهذا قيل : «العقل عقلا فمطبوع ومسموع» . ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع ، كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع .

والى الأول يشير ما روي في بعض الآثار : «ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل» ، وكذا «أول ما خلق الله العقل» .
والى الثاني يشير ما روي : «ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يردده عن ردى» . وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى «وما يعقلها الا العاقلون» .

ويحرص القرآن على تأكيد تعظيم العقل والرجوع اليه حرصا يلفت النظر ويشير الاهتمام . ويشير القرآن الى العقل ومعانيه المختلفة ومشتقاته ومترادفاته في نحو ثلاثمائة وخمسين آية ، مستخدما لذلك كل الألفاظ التي تدل عليه أو تشير اليه من قريب أو بعيد من : التفكير ، والقلب ، والقواد ، واللب ، والنظر ، والعلم ، والتذكر ، والرشد ، والحكمة ، والرأي ، والفقه .. الى غير ذلك من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها وخصائصها وظلالها ، مما يعتبر احياءات قوية بدور العقل وأهميته بالنسبة للانسان .

والقرآن لا يكتفي بهذا بل يذكر العقل في مقام التعظيم ، والتبني الى وجوب العمل به والرجوع اليه .

والإشارة الى العقل لا تأتي عارضة ولا مقتضية في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة . وتتكرر في كل معرض من معارض الامر والنهي التي يحث فيها الانسان على تحكيم عقله أو يلام فيها الفكر على اهمال عقله .

اختصار قبل البحث

والتخصص الآن ، هو أحدث وسائل الدراسة الجامعية ، فان آية العقل الناضج أن يقف عند حدود ما يعلم ، فلا يصدر الأحكام الا في حدود اختصاصه ، ولا يقحم نفسه في اختصاص الآخرين ، فالطبيب لا يفتي في مسأله هندسية ، والكيميائي لا يفتي في مشكلة فلكية ، أما الذين يقحمون أنفسهم فيما يعلمون وفيما لا يعلمون معتمدين على جهازة الصوت وقوة الجدل وشهوة التغلب على الخصم دون النظر الى الحقيقة فهم بعيدون عن الصواب بقوله عز وجل في شأنهم : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير » .

ولقد وجهنا الله جل شأنه الوجهة الخلقية بالعقلاء وبالعلماء الباحثين في قوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » . « ولو رده الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ويخاطب الله عز وجل أولئك الذين يفتون بما لا يعلمون بقوله « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

التدبر والتفكير

التثبت قبل الحكم والتدبر قبل العزم والتروي قبل الجزم ، بحيث لا يسبق اللسان الفكر ، ولا يطغي الظن على اليقين : أمر يفرضه القرآن على العقل لأن التعجل بالحصول على النتائج قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء كفيل بانحراف العقل وزيفه ، ولهذا عاب القرآن الكريم على الانسان أن ينساق مع العجلة ، وأن ينقاد لشهوة السبق ، مطالباً اياه بالتثبت والتبيين ، قال تعالى : « خلق الانسان من عجل » . « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » . « وستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة » . « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين » .

وقد أدب الله تعالى رسوله الكريم بهذا الأدب العظيم ، حيث يقول جل شأنه : « لا تحرك به لسانك لتعجل به » ، « حيث يقول « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى بك وحيه وقل رب زدني علما » .

المراجعة والمقارنة

ان العلماء المشتهين هم الذين يراجعون أنفسهم المرة بعد المرة ، فلا يصدرن الأحكام الا بعد تمام الاستيفاء والاستيثاق ، فالأطباء مثلاً يجرون التجارب على الأرناب والفيران ثم على القردة والخنازير ، وبعد أن يطمثوا الى تجاربهم ونسبة النجاح فيها يطبقونها على الانسان ويرقبون النتائج ويسجلون الاحصاءات ، حتى اذا ما اطمأنوا الى نتائج أبحاثهم عرضوها في المؤتمرات الطبية ووضعوها تحت البحث والمناقشة . وأخيراً يصدرن أحكامهم في ثقة وعن يقين .

والعالم الذي يصون نفسه عن التبذل لا يصدر أحكامه على النتيجة الأولى ، ولا يبنّي مقاييسه على غلبة الظن أو على شهوة النجاح . وقد أخذنا القرآن الكريم بالا تبنى أحكامنا على الظنون أو شهوة النجاح أو ثورة العواطف ، استجابة لأحقاد متوارثة أو نزوات عاطفية طارئة . يقول الله

فمن خطابه الى العقل عامة ، ومنه ما ينطوي على العقل الوازع ، قوله تعالى في سورة البقرة « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » .

ومنه ما يخاطب العقل ، وينطوي على العقل الوازع ، كقوله تعالى في سورة الملك : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

وهذا ما عدا الآيات التي تبتدىء بالزجر وتنتهي الى التذكير بالعقل ، لأنه خير مرجع للهداية في ضمير الانسان .

وهذا الخطاب المتكرر الى العقل الوازع يضارعه في القرآن خطاب متكرر مثله الى العقل المدرك ، أو العقل الذي يقوم به الفهم والوعي . وهما أعم وأعمق من مجرد الادراك .

وكل خطاب الى ذوي الألباب في القرآن الكريم فهو خطاب الى لب هذا العقل المدرك الفاهم ، لأنه معدن الادراك والفهم في ذهن الانسان ، كما يدل عليه اسمه باللغة العربية مثل قوله تعالى : « والراسخون في العلم يقولون أئنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب » . « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الألباب » . « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب » .

ومن هذه الآيات نبين ان اللب الذي يخاطبه القرآن ، وظيفته عقلية تحيط بالعقل الوازع والعقل المدرك والعقل الذي يتلقى الحكمة ويتعظ بالذکر .

وخطابه خطاب لاناس من العقلاء لم نصيب من الفهم والوعي أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن سوء ولا يرتقي الى منزلة الرسوخ في العلم .

أما العقل الذي يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي والروية فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشارك في المعنى أحياناً ، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى . فهو الفكر ، والنظر ، والبصر ، والتدبر ، والاعتبار ، والذكر ، والعلم ، وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحياناً في المدلول . ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات .

قال الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويشكرون في خلق السموات والأرض »

« قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » .
« قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »

« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .
« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

بهذه الآيات وما جرى مجراها تقرر فريضة التفكير في الاسلام . وتبين منها ان العقل يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الاضداد ويتبصر ويتدبر .

ولما كان العقل في الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير والسمو . أحيط بقواعد منهجية دقيقة تحفظ العقل من الزغ وتجنبه الشطط والمروق وتتيح له النمو والتفتح والخلق والابداع . ومن أهم هذه القواعد :

عز وجل «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس» . «ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى» .

الاستمسك بالحق

إذا قام الدليل القاطع والحجة البالغة اتضحت الحقيقة . وينبغي إذن أن يؤمن الباحث بما اهتدى إليه إيمانا قاطعا لا يتردد فيه فلا يسلم نفسه للوسواس ، ولا ينقاد للهواجس ولا يستجيب للريب . يقول الله تعالى : «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا» .

وقد ضرب الرسول صلوات الله عليه أروع الأمثال حينما تعرض للفتنة والمحنة والدسائس والمساومة ، فجهز بقوله : «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه» .

وقد سار على نهجه صلى الله عليه وسلم من بعده في الاستمسك بالحق ، أبو بكر رضي الله عنه ، حينما ارتد بعض المسلمين ممتنعين عن أداء الزكاة ، فهب هبته وقال قوله وقطع على المعوقين والمتردددين كل سبيل ، وهو يهتف بالمسلمين : «والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه» .

الدعوة إلى الحق

لا يكفي القرآن بوجوب الجهر بالحق ، بل يوجب الدعوة إليه . يقول الله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» .

ويقول تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» . وقد أوصى لقمان ابنه أكرم وصية حيث قال : «يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وإنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» .

الدفاع عن الحق

ولا يكفي إثبات الحق والجهر به لأن قوى الشر متأهبة دائما للتحدي متحفزة للبغي مستعدة للعدوان . ولقد نهى الله تعالى أن الشيطان يترصد بنا الدوائر ويحاول أن يصدنا عن اليقين ، وإنا إذا صمدنا في الدفاع عن الحق وبذلنا في الدفاع غاية الجهد ، عصمنا الله من سلطانه . وقال تعالى موجها خطاب التحدي للشيطان : «واستغزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بغيرك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا» . ولقد حاول المشركون جاهدين أن يساموا النبي صلوات الله عليه في إيمانه فقالوا : نعيد الهك يوما وتعيد آلهتنا يوما . فأنزل الله تعالى : «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين» . وقال تعالى : «والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة أنا لا ننزع أجر

المصلحين» . وقد أمر الله تعالى رسوله العظيم بهذا الأدب الكريم فقال : «فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم» .

الجهر بالحق

إنها لمن أجل النعم وأعظمها هذه النعمة التي استحق بها الإنسان التكريم والاستخلاف عن الله سبحانه وتعالى ، وما هذه النعمة إلا العقل الذي يكتب في أبسط صورة التخليص الكامل للحقوق والواجبات . فإذا ما اطمأنت النفس إلى أمر من الأمور ، هان هذا الأمر أو جل ، أصبح من الواجب المجاهرة به مهما كانت النتائج أو العواقب ، يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله الكريم : «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين أنا كفيناك المستهزئين» . ويوجهه أكرم توجيه هاتفا به : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام «طوبى للسابقين إلى ظل الله الذين إذا أعطوا الحق قبلوه . وإذا سئلوه بذلوه» .

وبهذا قام الاسلام بثورة تحريرية كبرى أطلق بها العقول من أسارها ودفعها للتأمل في ملكوت السموات والأرض ، وليكون الإيمان مبنيا على الفهم والافتناع لا على المكابرة والارهاب . وقد اتخذ الاسلام في منهجه العقلي أربع خطوات متتالية :

أولاً : محاربة الجمود والتقليد . لأن البناء على أساس عقلي متين يقتضي تنقية الرواسب والأكداس التي خلقتها القرون الماضية . وأكسبتها طابع القداسة فهيمت على العقول وحجبتها عن البحث والتأمل والتفكير ، وقد أنب القرآن المشركين على تمسكهم بآراء السابقين من الآباء والأجداد ولو كانوا على ضلال مبين . قال تعالى : «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون» .

ثانياً : مكافحة المكابرة والعناد . والمعاندون هم الذين يرون الحقائق ماثلة أمام أعينهم ، ولكنهم يكابرون ويجادلون ويختلقون الأكاذيب لطمس الحقائق وصرف العقول ، وهم الذين يقول الله تعالى فيهم : «يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» .

وإذا وضح الحق ماثلا أمامهم لا سبيل إلى نكرانه كابرُوا «وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا قرومن بيننا وبينك حجاب» .

فإذا أخرجتهم الحقائق الملموسة تعنتوا في جدالهم وطالبوا بالمستحيلات «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا» .

ثالثاً : التأمل والاستنباط . بعد أن تتحرر العقول من أغلال التقاليد والمعتقدات الفاسدة وبعد أن تكشف أباطيل المكابرين المتعنتين ، تستطيع أن تنطلق حرة طليقة باحثة عن الحق متطلعة إلى الهداية منقية عن الصواب . وقد ناشدنا الاسلام أن نتأمل في ملكوت السموات والأرض وأن نتدبر ما أبدع الله من كائنات : «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» . «أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت

ولا يكفي الاسلام بهذا بل انه يحفزنا أيضا الى التأمل الذاتي في تكويننا الجسمي والعقلي : « فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » وكلما لفت القرآن نظر المسلمين الى آية من آيات الله أهاب بالعقل أن يتدبرها : « ان في ذلك لذكرى لأولي الأبواب » .

رابعاً : النتائج العقلية مؤيدة بالبراهين . وبعد أن تنشط العقول من عقاها ، وتدبر ملكوت السموات والأرض ، يعينها الاسلام على الوصول الى النتائج العلمية مؤيدة بالدليل المنطقي الملموس . « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » . « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » .

وهكذا نجد الحقيقة الكبرى مقررة مدعمة بالبرهان العقلي النافع الذي لا يعتريه شك أو ابهام ، ولا يكفي القرآن في تقرير المبادئ العليا بدليل واحد أو برهان مفرد بل يسوق البرهان معززا بالبرهان حتى لا يدع للمكابرين حجة أو دليلاً .

والوسائل التي اتخذها الاسلام لنشر العلم تعتمد على خطوات عديدة أهمها :

اولاً : التأمل والدراسة والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من كائنات .

ثانياً : البحث العلمي بالانتشار في أقطار الأرض لدراسة الجبال والأنهار والصحاري والبحار ومعرفة النبات والحيوان ووسائل الاستفادة من كل هذه الكائنات : « الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه » . « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمين . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

فإنه سبحانه وتعالى لم يخلق هذه الكائنات عبثا وإنما سخرها لنا لننتفع بها بعد دراسة أساليب هذا الانتفاع ، على أن تستخدم العقل والحواس معا في سبيل استنباط أسرار السبل وأسهل الوسائل لهذا الانتفاع . وكثيرا ما يلتفتنا الى أن وسيلة العلم وهي البحث والتفكير : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . وقد يغفل الناس عن أمر قيلفتهم اليه ليستغلوه : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .

ثالثاً : الاستفادة مما تركه السابقون من معارف وعلوم وآثار لمحتصوها ، ثم يضيفوا اليها ما يهديهم اليه البحث من حقائق ونظريات : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » . وللاعتاض بما وقع فيه السابقون من أخطاء : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة » .

« أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » . وكثيرا ما يضرب الأمثلة بالأمم السابقة : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد » .

وكثيرا ما يلتفت النظر الى أن الحكمة ضالة المؤمن يلتبسها انى وجدها : « وفي الأرض آيات للموقنين » . ثم يقرع الغافلين عن البحث والدرس والملاحظة التجريبية : « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » ، ثم يدعو الى سؤال علماء الأمم السابقة ، أو من ورثوا عنها هذه العلوم للمعرفة والتبصير : « فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » .

رابعاً : الرحلة في طلب العلم . فقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم عن رحلة نبيه موسى عليه السلام في طلب العلم الى الخضر وانتقاله معه دارسا متعلما . ويقول الرسول الكريم صلوات الله عليه « من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة » . وتلبية لهذا الأمر شرد المسلمون الاولون الرجال ، وقطعوا الفياقي وجابوا البحار في طلب الحديث والفقه وعلوم الدين والدنيا . فنشروا العلم في أنحاء الأرض ونهضوا بالثقافة الانسانية الى أعلى المستويات وأسسو حضارة علمية سيطرت على العالم كله مئات السنين . وقد أقام الاسلام منهجا في تحرير العقل والفكر يعتمد على ثلاث دعائم هامة :

الدعامة الأولى : تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الارادة ليكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فان كمال العقل واستقامة التفكير واستقلال الارادة هي أساس صحة العقائد ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ، وقد عني الاسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فجعل البرهان أساس الايمان الصادق والعقيدة الصحيحة ، وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود على صاحبه وأنذر الذين يجادلون في الله وآياته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، كما يقول تعالى : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » وطالب كل ذي عقل بالنظر في عوالم السموات والأرض وما فيهما من الدلائل الواضحة على وحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته كما في قوله تعالى : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » . « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » .

واستنهض العقول ووجه الأفهام وأيقظ الحواس ونبه المشاعر بالتعقيب على بيان الآيات الكونية والتشريعية بمثل قوله تعالى : « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . « ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم واعراضهم عن دلائل الآيات الكونية التي يشاهدونها في كل لحظة وهم عنها غافلون وتطالعهم بدلائلها في كل آونة وهم عنها معرضون كما في قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وعاب على أسرى التقليد اعراضهم عن الحق الذي جاءت به أنبياء الله ورسله ، وجمودهم على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم وارتكابهم الفواحش باسم الدين تعصبا للجمود والتبعية العمياء ، كما قال عز وجل : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » . فالتقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات لأنه يميئ مواهب الفكر والنظر ويوجب جمودها وركودها ولا يميز بين الحق والباطل ولا بين الصواب والخطأ .

وهكذا عرف المسلمون الأولون منزلة العلم وفضله وأدركوا مبلغ الحاجة إليه في دنياهم وبناء مجتمعاتهم ودعم سلطانهم . وانه هو الذي يوضح لهم معالم السير على النهج القويم . ويفتح لهم آفاق الحياة العزيزة الكريمة ، ويكشف لهم عن أسرار العوالم الكونية ونواميسها . ويقيم لهم وسائل الحياة والقوة ويبيّن لهم قواعد السيادة والمجد .

وعرفوا كل هذا فوجهوا عزائمهم الى طلب العلوم على اختلاف أنواعها ، ولم يشغلهم عن طلبها ترف الحضارة ونعماؤها ، ولا نبت عزائمهم عنها بأساء الحياة وضراؤها ، وبحثوا عنها في آيات الله التشريعية وآياته الكونية ، وأقاموا في كل قطر اسلامي منارا عاليا ، وحملوا مشاعلها الى مشارق الأرض ومغاربها . ولم يقفوا بجهودهم عند نتائج عقولهم وافهامهم بل اتجهوا بها أيضا الى علوم السابقين يدرسونها ويمحصونها ويأخذون عنها ويزيدون عليها ، ما أهدهم اليه البحث والنظر والاستدلال فاستخرجوها من زوايا الاهمال والنسيان ، وأخذوا ابريزها بعد أن زادوه نقاء وصفاء ، وردوا زائفها بعد أن بينوا زيفه وفساده لأنهم كانوا يطلبون هذه العلوم طلب الناقد البصير ، لا طلب التابع المقلد ، واكمل لهم من ملكات العلوم والفنون في جيل واحد ما لم يكتمل لأمة من الأمم الناهضة في عدة أجيال ، وفي ذلك يقول بعض المؤرخين الاجتماعيين من علماء الغرب : ان ملكة الفنون لم يتم تكوينها في أمة من الأمم الناهضة الا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد ، وجيل الخضومة ، وجيل الاستقلال والاجتهاد ، الا العرب وحدهم فقد تمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدأوا فيه بمزاومتها . وان تعجب لهذه النهضة العلمية التي تخطت مراحل النهوض في الأمم فعجب انهم قاموا بها على رغم الأحداث العاتية التي حملوا أعبائها والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها ، لأن الأحداث والخطوب وان بلغت من العنف ما بلغت ، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب وانفعلت بها النفوس ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .

وبهذه النهضة العلمية استطاعوا أن يعملوا عمل الأقوياء لأن العمل لبناء المجتمعات لا يصدر الا عن ارادة قوية دافعة ، والارادة القوية الدافعة لا تنبثق الا من العلم ، فالأمة التي أفقدها الجهل قوة الارادة وصدق العزيمة لا يمكن أن تعمل شيئا .

الدعامة الثالثة : تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لوجيها لأن طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان في سلوكه والتواءه في نظره وتفكيره .

ولذا عني الاسلام بالتحذير البالغ من اتباع الهوى والانقياد الأعمى للأشياء ، فدم العاكفين على عبادة الأهواء والأغراض ونعى عليهم ضلالتهم وانحرافهم عن الحق ارضاء لأهوائهم ، كما في قوله تعالى : « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » . « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » . « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم » . « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ، « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » . وهكذا طالبنا الاسلام بأن نظهر نفوسنا وسلوكنا من الأغراض الخفية والأهواء الدفينة ونحرر عقولنا وافهامنا من الخضوع للجهل والانقياد الأعمى . وبهذا يسمو المجتمع ويصل الى ما قدر له من خير ومعرفه ■

ولذا قرر الاسلام حق الانسان في حرية الفكر واستقلال الارادة ، وفتح له طريق التحرر الفكري والاستقلال الارادي . وبهوء المنزلة اللانقطة بانسانيته وكرامته ، وعرفه ان الله تعالى لم يخلقه عبدا بقاد كما تقاد الأنعام ، ولا جعل لمخلوق حق السيطرة على عقله وفكره وانما خلقه حرا مالكا لقيادة نفسه ، يفكر بعقله ويسترشد بمواهبه ويعمل باختياره وارادته ويهتدي بنور العلم في اختياره وعمله ، ولا يظهر بمظهر العبودية الا لخالقه ولا يدين في عقائده وسلوكه الا بدين الحجة والبرهان .

وهناك حقيقتان قد يقع الخلط في فهمهما :

الأولى : أن التقليد الذي ذمه الاسلام وشدد النكير على أهله انما هو التقليد الذي يقوم على التبعية العمياء والجمود على القديم الموروث ومحاربة كل جديد يخالفه ، ولو كان ذلك الجديد أقوم طريقة وأهدى سبيلا . **الثانية :** ان حرية الفكر التي جعلها الاسلام راقدا للتفكير الديني ونبراسا للعقول والافهام في الاهتداء الى معالم الحق ، هي الحرية التي تطلق العقول والافهام من أغلال الحجر العقلي والكبت الفكري ، وتحررها من سيطرة التقليد والتبعية العمياء ، وتجلي لها معالم الحقائق التي كانت محجوبة عنها ، وتجعل قيادة التوجه قيادة بناء واصلاح .

الدعامة الثانية : تحرير الانسان من أصفاد الجهل وظلمته ، فان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطغى نور القلوب ، ويعمي البصائر ، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأمم ، ويفسد على جماهير الناس مناهج الدين والتدين ، لأن أهل الأهواء والبدع يجدون في الجهل بتعاليم الدين مجالا واسعا لنشر ما يستحدثونه من خرافات ، ويسارع بعض الناس بدافع الجهل والثقة العمياء الى اعتناقها والعمل بها على انها من الدين ، وهم لا يعلمون ان الدين منها براء .

ولقد عني الاسلام ببناء هذه الدعامة عناية كبرى . فدم الجهل والجاهلين في مواطن كثيرة كما في قوله تعالى : « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » ، « أفحكم الجاهلية يبغون » . « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

وأنهى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام في عقائدهم وتدينهم ، كما في قوله تعالى : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » . « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا » .

وعظم شأن العلم وحث على طلبه ، كما في قوله تعالى : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » ، « ونوه بفضل الحكمة وما فيها من الخير الكثير » ، كما في قوله تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » ، ورفع منزلة العلماء وجعلهم أهل خشيته ، وقرن شهادتهم بشهادته تعالى وشهادة ملائكته : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، « شهد الله انه لا آله الا هو والملائكة وأولو العلم » .


وجعلهم يتابع العلم وموارد العرفان ، ورواد الحق ودلائل الهدى ، كما في قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ، وخصهم بالتعقل والفهم في مقام ضرب الأمثال وبيان آيات الله الكونية ، كما في قوله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » . « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين » .

الاحصاء في الاسلام

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

المواليد أو الوفيات ، أو الذكور أو الاناث ، ولكنه أخذ يتطور فأصبح له أسس وطرق وقواعد ونظريات ، وصار له متخصصون مشهورون ، مثل فردريك جاوس الألماني ، ولابلاس الفرنسي ، وكتيليه البلجيكي ، وجولتون الانجليزي ، وأنكروسون الدانمركي ، وارفنج فيشر الأمريكي ، وغيرهم ممن تفرغوا لدراسة علم الاحصاء ، واستنباط نظرياته ، وكشف غوامضه ، والانتفاع به في مختلف المجالات .

ولعل أول علاقة نشأت بين الدين والاحصاء هي ان رجال الدين في العصور القديمة هم الذين كانوا يقومون بعملية الاحصاء . وليس من الميسور لنا أن نتابع تطور هذه العلاقة بين الدين والاحصاء في مختلف العصور والبيئات ، فحسبنا في مجال بحثنا ان نتعرف الى علاقة الاسلام بالاحصاء .

اول ما يخطر ببالنا في هذا المجال  هو أن نرجع الى القرآن الكريم لنجده يشير في مواطن منه الى مادة الاحصاء وما فيه من معنى العدّ والتقدير ومعرفة كمية الشيء ، فالقرآن يذكر مادة «أحصى» في مواطن كثيرة ، منها قوله في سورة الكهف : « ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » ، وقوله في سورتي ابراهيم والنحل : « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وفي سورة المزمل : « علم أن لن

وقد كان الاحصاء في الأصل - كما يقول الباحثون - مقصورا على الأعمال الخاصة بشؤون الدولة ، واستدلوا على ذلك بالأصل اللغوي الانجليزي لاسم التعداد - والتعداد هو الاحصاء - فاسمه في اللغة الانجليزية « Statistics » وهذه الكلمة مشتقة من كلمة « State » وهي بمعنى « الدولة » ، وعلى هذا جعلوا معنى الاحصاء هو « مجموعة الحقائق الخاصة بشؤون الدولة » ، ولكن نطاق الاحصاء اتسع حتى صار يتخذ وسيلة للاهتمام الى حقائق الأمور واتجاهات الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وصار ذا أثر عميق في تصريف شؤون المجتمع وتدير سياسته . كما يفيد في شؤون الأفراد والهيئات . وصار الاحصاء علما عرفه بعضهم بقوله : الاحصاء علم يبحث في طريقة جمع الحقائق الخاصة بالظواهر العلمية والاجتماعية ، وكيفية تسجيلها في صورة قياسية رقيمة . وعرفه بعض آخر بقوله : الاحصاء هو العلم الذي يدرس الظواهر التي تلوح عرضية لا ضابط لها في مشاهداتها بغرض الوصول الى القوانين التي تحكم هذه الظواهر .

وكان الاحصاء في أول أمره عملا ساذجا يعتمد على احصاء المنازل ، أو المكلفين بالخراج أو العشور أو الجزية أو الخدمة العسكرية ، أو

اللقطة : أحصى فلان الشيء ، اذا عده ، أو حفظه ، أو عقله . والاحصاء هو التحصيل بالعدد ، والمادة مأخوذة من كلمة « الحصى » لأنهم كانوا يعتمدون على الحصى في العدد ، كما يعتمد غيرهم على الأصابع . وقد ذكر ابن الأثير في « النهاية » أن الاحصاء هو العدّ والحفظ ، وان « المحصى » من أسماء الله تعالى ، ومعناه الذي أحصى كل شيء بعلمه وأحاط به ، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل . وفي الاحصاء معنى التقدير ، كما يذكر الأصفهاني ، معناه « تبيين كمية الشيء » . والاحصاء اليوم علم له أصوله وقواعده ، ويقصد منه جمع البيانات الاحصائية وتبويبها وتحليلها واستخراج النتائج المختلفة منها ، وقد صار للاحصاء قيمة كبيرة جدا في التجارة والصناعة والزراعة وغيرها ، ويمكن الانتفاع به في كل مجال من مجالات الحياة .

والاحصاء بمعنى الحصر والعد فكرة قديمة ، ترجع الى عهد بعيد في تاريخ الانسانية ، ويبدو أن قدماء المصريين كانوا أول من قاموا بالاحصاء ، ففي عهد بناء الأهرام تم تعداد لسكان مصر وثروتها ، وانتفعوا بذلك في تنظيم مشروع البناء ، وفي عهد رمسيس الثاني تم تعداد للسكان للانتفاع به في عملية توزيع الأراضي .

تحصوه ، وفي سورة الجن : « وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا » وفي سورة مريم : « لقد أحصاهم وعدهم عدا » ، وقوله في سورة الطلاق : « وأحصوا العدة » . الخ .

وَأَحْصَا القرآن الكريم مادة « العدد » مريم : « فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عددا » ، وفي سورة الهزلة : « الذي جمع مالا وعدده » ، وفي سورة المؤمنون : « قالوا لينا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين » ، وفي سورة البقرة : « ولتكموا العدة » الخ .

وتحدثنا السيرة العطرة بأن أول تعداد حدث في الاسلام كان على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد روى الامام البخاري في صحيحه ان حذيفة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « احصوا لي كم يلفظ الاسلام » . أي كم شخص دخل في الاسلام ونطق بشهادته ويتكلم بدعوته . فقلنا : يا رسول الله ، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة الى السبعماية ؟ قال : « انكم لا تدرون ، لعلمكم ان تبتلوا » .

قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي الا سرا . (وهذا في أول الأمر قبل انتشار الاسلام وكثرة أهله) .

وكذلك روى الامام البخاري رواية أخرى ان حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس » . فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل ، فقلنا : نخاف ونحن ألف وخمسمائة ؟ فلقد رأينا ابتلينا حتى ان الرجل ليصلي وحده وهو خائف .

ولقد قال الدماميني ان هذا كان عام الحديبية . ولعل السبب في تعدد الروايات هنا هو ان طلب الاحصاء تكرر من الرسول عليه الصلاة والسلام أكثر من مرة ، وقد فهمنا مما سبق ان المسلمين كانوا عند الطلب الأول ما بين الستمائة والسبعماية ، وكانوا عند الطلب الآخر ألفا وخمسمائة رجل ، وقد عقد الامام البخاري بابا جعل عنوانه : « كتابة الامام الناس » وذكر ما

سبق من الحديث . والظاهر ان هذا الطلب كان باكورة ظهور الاحصاء في مجتمع الاسلام . ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقسم ما يأتيه من خير على مستحقه ليومه ، ولذلك لم يكن هناك مال يدخر غالبا ، ولم يكن هناك سجل يجمع أسماء المسلمين ، ولكن السيرة تحدثنا بأن معيقب بن أبي فاطمة الدوسي كان يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الله بن الأرقم يكتب بين القوم في مياهم وقيامهم ، وكان الزبير بن العوام يجمع بين الصلوات يكتبان للنبي أموال الصدقات ، وكان حذيفة يكتب ثمار النخيل ، ويمكن أن نعد هؤلاء الصحابة طلائع الذين قاموا بالاحصاء في المجتمع الاسلامي على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وَأَحْصَا كان الاحصاء يتضمن العدة والتقدير ، وهما يمهدان للرعاية والضبط وحسن التصرف فاننا نستطيع أن نلمح اشارة نبوية الى أهمية الاحصاء من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « نفس تنجيها خير لك من أمانة لا تحصيها » ، واذا كان في هذا الحديث الشريف حث على صيانة النفس من أسباب الهلاك ، فانه يتضمن أيضا التوجيه الى صيانة الأشياء والأموال التي يوكل الى الانسان رعايتها والاشراف عليها ، وما يعاون على ذلك معرفة أبعاضها وأجزائها .

وجاء عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيه اتسعت الدولة وكثر المسلمون . فشرع عمر في انشاء « الديوان » وهو السجل الذي يحصى الناس ويبين حقوقهم ، وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة - وقيل في السنة العشرين - ويروي ان السبب المباشر في وضع الديوان هو ان أبا هريرة جاء من « البحرين » بمال كثير للمسلمين ، فقال له أمير المؤمنين عمر : بم جئت ؟ فأجابه أبو هريرة قائلا : جئت بخمسمائة ألف . فاستكثر عمر العدد فقال له : أتدري ما تقول ؟ أنت ناعس ، اذهب فبت حتى تصبح .

وفي اليوم التالي سأله عمر : كم هو ؟ فأجاب بقوله : خمسمائة ألف درهم . فقال عمر : أمن طيب هو ؟ ، فأجاب : لا أعلم الا ذلك . فتحدث عمر الى الناس فقال : أيها الناس ، انه قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلنا لكم كيلا ، وان شئتم عددنا لكم عددا . ثم استشار عمر الناس في الأمر ، فقال له رجل - قيل انه الهرمزان أو المرزبان - : يا أمير المؤمنين ، دون للناس دواوين يعطون عليها . وروي ان علي بن أبي طالب قال له : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال . ولا تمسك منه شيئا . وقال عثمان : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيت أن يتشتر الأمر (أي يتسع ولا يسهل ضبطه) .

وهنا قال الوليد بن هشام بن المغيرة : قد جثت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا . وجندوا جندا ، فدون ديوانا . وجند جندا .

واقترح الفاروق بالرأي فكلف جماعة فيهم عقيل بن أبي طالب ومخزومة بن نوفل وجبير بن مطعم أن يقوموا باحصاء الناس قائلا لهم : اكتبوا الناس على منازلهم . وأمرهم بأن يذكروا أولا آل الرسول صلى الله عليه وسلم . الأقرب منهم فالأقرب ، ثم قبائل قريش ، ثم الأنصار ، وأمر عمر بأن يكتبوا بعد ذلك كل مولود يولد في الاسلام . وقرر اعطاء مائة درهم لكل واحد من هؤلاء عقب ولادته .

وَأَحْصَا اتسع نطاق الاحصاء في مجتمع الاسلام ، فصار هناك تعداد للمجاهدين وغيرهم ، واستتبع ذلك أن يكون هناك تعداد لما يرد من أموال أو أشياء أخرى ، وما يدل على ذلك أن الأرض المفتوحة في عهد عمر في الشام والعراق وغيرها قد الحقها ببيت مال المسلمين ، واستثمرها بأشرفه ، ويروي المؤرخون ان الغلة التي تجمعت من هذه الأرض بلغت بضعة ملايين ، فمنهم من قدرها بما قيمته أربعة ملايين درهم ، ومنهم من قدرها بسبعة ، ومنهم من قدرها بتسعة ، ولعل اختلاف الأرقام يرجع الى ان الغلة كانت تزيد مع الأعوام المتوالية . ولقد تحدث القلقشندي

في الجزء الثالث عشر من كتاب «صبح الأعشى» عن هذا الموضوع بتوسع .

كذلك يروي التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث عثمان بن حنيف وحديفة بن اليمان إلى أرض السواد بالعراق ، وهي التي سميت سوادا لسوادها بالزروع والأشجار ، لأن الخضرة ترى من البعد سوداء - وكلفهما أن يحصيا مساحتها ، وأن يقدرا مقادير الخراج على كل قطعة منها بالعدل وبما تحتمله الأرض ، فاستجابا لذلك ، وبلغت المساحة حسب تقديرهما ستة وثلاثين ألف ألف جريب ، والجريب - كما يذكر الماوردي - هو عشر قصبات في عشر قصبات ، والقصبة ستة أذرع . وأرض السواد طولها - كما ذكر في كتاب الأموال - من لدن تخوم الموصل ، ممتدا مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبّادان من شرقي دجلة ، وعرضها من منقطع الجبل من أرض حلوان ، إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب .

وكذلك قام عمر رضي الله عنه بإحصاء من تجب عليهم الجزية في جميع أنحاء السواد ، فكانوا خمسمائة ألف وخمسين ألفا على اختلاف الطبقات .

وهكذا نجد أن الإحصاء في عهد عمر بن الخطاب قد تنوع وتعدد فكان هناك إحصاء للمجاهدين ، وإحصاء لأهل السبق في الإسلام ، وإحصاء للمواليد ، وإحصاء لمن يلزمهم الخراج ، وإحصاء للأرض التي تتبع بيت مال المسلمين .

وننتقل إلى الإحصاء في مصر الإسلامية : حينما فتح المسلمون مصر سنة عشرين - على القول الراجح أحصى وبها عمرو بن العاص من فيها من الرجال البالغين الأقباط ، وقدر على كل واحد منهم جزية قدرها ديناران كل عام ، وأعفى من هذه الجزية النساء والشيوخ والصبيان ، وجمعت الجزية من هؤلاء الرجال القادرين وأحصيت ، فكان مجموعها اثني عشر ألف ألف دينار ، وقد أقر الخليفة عمر هذا الاجراء ،

وكانت الجزية مقام الحماية وضمان الأمن والدفاع . وقد تحدث المقرئ عن هذا في رسالته عن النقود الإسلامية .

كما قام عمرو بإحصاء لجميع السكان عند الفتح فبلغ مجموعهم خمسة ملايين من الأشخاص .

وقد ذكر المقرئ في خطبته أن معاوية جعل على كل قبيلة من قبائل العرب في مصر رجلا يصبح كل يوم ، فيدور على المجالس ، فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ . فيقال : ولد لفلان غلام ، ولفلان جارية (أي بنت) فيكتب أسماءهم ، ويقال : نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله ، فيسميه وبياله ، فإذا فرغ من القبيلة أتى إلى الديوان - الذي يشبه مصلحة الإحصاء الآن - فيثبت ذلك .

وهكذا نجد أن المسلمين عرفوا منذ وقت مبكر «المتابعة الفورية» في الإحصاء ، مع اتباع الطريق المباشر في هذا الإحصاء ، وعرفوا كذلك إحصاء الواقدين على القبيلة من القبائل ، وكانوا يفعلون ذلك يوميا ويبدو أن معاوية كان يدقق في العمليات الإحصائية المتصلة بالمال ، ولذلك روى التاريخ أن زيادا قدم سنة اثنتين وأربعين للهجرة من فارس على معاوية ، وكان زياد واليا عليها من قبل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحينما سأله معاوية عن أموال فارس قدم إليه بيانا إحصائيا مفصلا عنها ، فبين له فيه ما حمله من الأموال إلى علي ، وما بقي عنده كوديعة للمسلمين ، فصدقه معاوية ، وتسلم منه ما بقي لديه ، وقال له : قد كنت أمين خلفائنا .

وفي السنة التسعين نجد قرّة بن شريك العسبي واليا على مصر ، وأراد أن يضبط النفقات ، فأجرى إحصاء جديدا لأصحاب العطاء ، وكانت هذه هي المرة الثالثة التي يتم فيها مثل هذا الإحصاء في مصر الإسلامية ، وقد كانت المرة الأولى في عهد عمرو بن العاص ، والثانية في عهد عبد العزيز بن مروان . وهكذا نفهم أن المسلمين كانوا يدركون الحاجة إلى تكرار الإحصاء في كل

مرحلة زمنية ، ليتبينوا ما يطرأ على الأحياء والأشياء من تغيير أو تبدل .

وصف العام السابع بعد المائة ، وفي عهد هشام بن عبد الملك ، قام عبيد الله بن الحبحاب بتقدير لأرض مصر ، وجعل للعامر من الأرض إحصاء ، وللعامر منها إحصاء ، وهذا يدل على عرفانهم «نوعية الإحصاء» .

وحيثما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان عمل إحصاء جديدا بوساطة الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري ، وأدق ما في هذا الإحصاء أنه أراد أن يحدد بالضبط ما ينبغي أن يدفعه الفرد القادر من الجزية ، فعد الناس كلهم عمالا بأيديهم ، وأحصى مقدار ما يكسبه الفرد خلال السنة كلها ، ثم حسب ما يتفقه في السنة ، ولم يعد في الحساب أيام الأعياد إذ لا عمل فيها ولا كسب ، فوجد أن المستحق بعد هذا كله هو أربعة دنانير على الفرد في العام .

وبعث عبد الملك بالسكة - وهي حديدية منقوشة تضرب عليها الدراهم - إلى الحجاج فسيرها إلى الآفاق ، لتضرب الدراهم بها ، وتقدم إلى الامصار كلها أن يكتب إليه كل منها في كل شهر بما يجتمع لديهم من المال ، كي يحصيه ، وأن تضرب الدراهم في الآفاق على السكة الإسلامية ، وأن يحمل إليه بيانها أولا بأول .

وفي الدولة العباسية ظهر جهاز جديد له علاقة بالإحصاء ، وهذا الجهاز كان يسمى «ديوان زمام الأزمة» . وكانت مهمة هذا الجهاز أن يشرف على الدواوين القائمة في مختلف البلدان ، ليراقبها ويحاسبها ويضبط عملها ، وقد أنشئ هذا الجهاز سنة اثنتين وستين ومائة .

وهكذا نجد أن المجتمع الإسلامي قد عرف الطريق إلى الإحصاء منذ شروق الإسلام ، وأن هذا المجتمع أخذت عنايته بالإحصاء تتسع على مر العصور والأجيال ، فكانت هذه العناية أحد العوامل التي ساعدت على توطيد دعائم الحضارة الإسلامية وثبتت أسس المجتمع الإسلامي ■

المكتبات أداة المجتمع المثالي

كَانَتِ الْمَكْتَبَاتُ، وَلَا تَزَالُ، تُشَكِّلُ لِبَنَاتِ أُسَاسِيَّةٍ فِي صُرُوحِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَهِيَ مَعَارِدٌ لِلِإِسْتِعَاكِ الثَّقَافِيِّ، وَمَرْتَعٌ مِعْطَاءٌ يَأْوِي إِلَيْهِ الدَّارِسُونَ وَالْبَاحِثُونَ لِيَجْنُوا مِنْ غِرَاسِهِ الثَّمَرَةَ ثَمَارَ الدَّرْسِ وَالنَّحْصِيلَ يَقْضُونَ بِهَا أَوْطَارَ بَحْثِهِمْ فَتَيْسَرُ لَهُمْ مُبْغَاهُهُمْ وَتُحَقِّقَ لَهُمْ ضَالَتُهُمْ ...

تعتبر مكتبة جامعة الرياض المركزية في مصاف المكتبات البارزة في المملكة . اذ تحوي بين جنباتها ما يربو على ٦٠ ألف كتاب ومؤلف ، بالإضافة الى عدد من الأفلام المصغرة « Micro-film » .



أسس الحاكم بأمر الله مكتبة « دار الحكمة » على غرار « بيت الحكمة » التي أنشأها الرشيد في بغداد ، وخصص لها أوقافا تكفيها . ولم يمض طويل وقت حتى انتشرت المكتبات انتشارا واسعا ، وبلغت من الكثرة حدا لا يمكن تصوره . وحين دخل التتر بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) دمروا — فيما دمروا — المكتبات وأتوا على الكتب ، وبذلك خسر العالم كنوز قرون خمسة كانت المعين الذي لا ينضب ، من الثقافة والمعرفة .

وكان من نتيجة ذلك أن أخذ شأن المكتبات في العالم العربي والإسلامي يتضاءل فخدمت جذوة العلم وأهملت المعاهد والمكتبات . ولم ينشط الاهتمام بالمكتبات الا في مطلع القرن العشرين عندما عمت النهضة أرجاء الأقطار العربية ، فأخذت بأسباب الحضارة والرفي . وشق التعليم العصري المنظم طريقه اليها . وتأسست المدارس والجامعات ، وانتشرت المطابع ، ونشطت حركة التأليف والترجمة والنشر ، فكان أن أخذت المكتبات العامة والخاصة بالظهور والانتشار بشكل لم يسبق له مثيل .

المكتبات في زمن الدولة السعودية

كان للحركة التعليمية . التي شملت أرجاء المملكة العربية السعودية ان انتشرت المدارس والمعاهد الحديثة بشكل واسع حتى ليقال أن الدولة تفتتح ما معدله مدرسة جديدة كل ثلاثة أيام مما جعل منظمة « اليونيسكو » تشيد بالجهود الكبيرة التي تبذلها المملكة في نشر المعرفة والتعليم في أرجائها ، كما كان لهذه الحركة الأثر الأكبر في انشاء مكتبات عامة وخاصة يغرف طلاب العلم من مناهلها العذبة . وتحضن هذه المكتبات بين جنباتها آلاف الكتب القيمة والمراجع التاريخية والمخطوطات النادرة .

المكتبات في المدينة المنورة

تزهر المدينة المنورة بسجلها الثقافي الحافل ، فقد عرفت عبر تاريخها الطويل العديد من العلماء والأئمة والأدباء الذين أغنوا التراث العربي بتأليفهم الفكري ومؤلفاتهم القيمة . ولذلك فقد كان طبعيا أن تنشأ فيها مكتبات عديدة تحوي عيون الكتب والمخطوطات النادرة التي تبحث في شتى ميادين المعارف والعلوم والتي بلغ عددها ٨٨ مكتبة ضم معظمها فيما بعد في مكتبة عامة شاملة صيانة لما تحويه من كنوز نفيسة وذخائر نادرة . ولعل أبرز هذه المكتبات هي « المكتبة العامة » التي أنشئ لها مبنى ضخم بجانب الحرم النبوي الشريف ، وقد أنشئت عام ١٣٨٠ هـ ، وتشرف عليها وزارة الحج والأوقاف . أما المكتبات التي ضمت الى هذه المكتبة فهي مكتبة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ومكتبة الشفاء . ومكتبة الساقزي . ومكتبة عمر حمدان . والمكتبة الاحسانية ، والمكتبة القازانية والمكتبة العرفانية . وتضم هذه المكتبة العامة على رفوفها ما يقرب من ١٤٠٠٠ كتاب وألفي مخطوطة ، وهي لا تتبع نظام الاعارة الخارجية .

وتقوم على مقربة من « المكتبة العامة » في مبنى عريق ذي قاعة فسحة تعلوها قبة جميلة ، مكتبة شيخ الاسلام المرحوم « أحمد عارف حكمت » التي تعتبر من أبرز المكتبات وأنفسها . وقد أسست عام ١٢٧٠ هـ بعدد متواضع من الكتب والمخطوطات نمت مع الزمن وازداد عدد كتبها بعد وفاة صاحبها حتى أصبح يقارب من ٦٠٠٠ كتاب بين مخطوط ومطبوع في شتى العلوم من فقه وتفسير ولغة وتاريخ وأدب وفلك ورياضة .

أدرك العرب منذ القدم أهمية المكتبات وعظم أثرها وسمو رسالتها في نشر الوعي الثقافي والفكري . فأقاموا دور الكتب في حواضر العالم الاسلامي . ولعل العصور العباسية تعتبر العصر الذهبي لانتشار المكتبات ، اذ اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فبلغت ذروة قوتها ، وازدهرت علومها وصناعاتها وتجاريتها حتى أصبحت « بغداد » مركزا للإشعاع الثقافي ومناراً للعلم والمعرفة يؤمه الطلاب من كل صوب وحذب . وقد ازدهرت العلوم والآداب في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد لحبه للعلم من جهة ، ولتقدم صناعة الورق الذي ساعد على انتشار الكتب من جهة أخرى . فشيد الرشيد « بيت الحكمة » في بغداد حيث تخرج منه كبار العلماء والفلاسفة . وكان هذا البيت على غرار جامعات العصر الحاضر تقريبا . وقد لمع نجم الخليفة « المأمون » في سماء النهضة العلمية حتى لقب « بأعسطس العرب » ، وعد عصره العصر الذهبي العلمي آنذاك . وقد كان هو نفسه عالما فيلسوفا ، فعمل جاهدا على تشجيع العلم والعلماء والمترجمين وأغدق عليهم الأموال وعقد لهم المناظرات العلمية التي كان يشترك فيها بنفسه . وكان أشهر المترجمين في عهده « حنين بن اسحاق » الذي كان يعطيه مقابل كل كتاب يترجمه ما يوازي وزنه ذهبا . ولم يكتف المأمون ببيت الحكمة الذي أنشأه والده . بل وسعه وزاد فيه حتى أصبح مكتبة وجامعة كبرى يؤمها الطلاب والعلماء من جميع أرجاء الدولة الاسلامية المترامية الأطراف . وبلغ من اهتمام المأمون بالعلوم انه اشترط على ملك الروم أن يدفع له في الجزية كتابا علمية . فظهر في عصره الفيلسوف العربي يعقوب الكندي ، ومحمد الخوارزمي العالم الرياضي المشهور . ومن علماء الفقه الامامان الشافعي ، وأحمد بن حنبل . والجاحظ مؤدب المأمون ومؤلف كتاب « البيان والتبيين » وغيره من الكتب .

وقد درج الخلفاء العباسيون على ارسال البعثات الى القسطنطينية وغيرها لشراء الكتب اليونانية بأثمان باهظة لترجمتها واستخلاص محتوياتها . وخاصة كتب الطب والرياضيات والفلك .

وعلى مر العصور الاسلامية ازدهرت العلوم ازدهارا ملحوظا واتسعت فروعها وامتدت جذورها عميقا وصار الأمراء والحكام يولونها فائق عنايتهم وكبير اهتمامهم .. ففي العصر البويهي مثلا ، كان الأمراء يتنافسون على تشجيع العلماء والأدباء فأخذوا يدفعون لهم الرواتب الضخمة ويقدمون لهم الهدايا النفيسة . فانتشرت المكتبات العامة والخاصة في المدن ، وتباهى الأمراء باقتناء الكتب النادرة والمخطوطات القيمة لا سيما في الأندلس حتى عد عصر ملوك الطوائف أزهى عصور الأندلس العلمية . وقد بلغ « بالحكم » ، صاحب الأندلس . الشغف باقتناء الكتب حدا كبيرا . فعندما سمع أن أبا الفرج الأصفهاني كاد أن ينتهي من تأليف كتابه « الأغاني » بعث اليه بألف دينار ذهبا ليرسل اليه نسخة منه قبل أن يخرجها في بغداد .

وعمل الخلفاء الفاطميون أيضا على تشجيع العلم والعلماء اقتداء بالأمويين في الأندلس وأمراء المشرق ، فأنشأ « المعز لدين الله » مكتبة فخمة أباح استعمالها لجميع السكان ، ثم أغدق الأموال على العلماء والأدباء ، وصار كالمأمون يعقد لهم المجالس العلمية ويشترك فيها بنفسه . فاحتشدوا في بلاطه بأعداد كبيرة من بينهم الشاعر ابن هاني الأندلسي الملقب « بمتنبي الغرب » . ولا آلت الخلافة للعزيز أنشأ أكاديمية لنشر العلوم ومكتبة ضمت بين جنباتها ٢٠٠ ألف كتاب . وفي عام ١٠٠٥م



مكتبة جامعة الملك عبد العزيز الأهلية في جدة تيسر للطلاب استقراء الحقائق والمعلومات التي يبحثون فيها في البحث والاستذكار ..

وهناك أيضا المكتبة البساطية ، ومكتبة أهل الحديث التي أوقفها الشيخ أحمد الدهلوي رحمه الله وتحتوي ما ينوف على ٥٠٠٠ كتاب ورسالة مخطوطة ومطبوعة معظمها من كتب التفسير وصحاح الأحاديث النبوية الشريفة بالإضافة الى كتب علوم الدين واللغة .

المكتبات في مكة المكرمة

تكثر في مكة المكرمة المكتبات الخاصة التي بدأ أصحابها ، الشغوفون بالعلم ، بجمع الكتب والمخطوطات منذ زمن طويل ، ومن أبرز هذه المكتبات « المكتبة الماجدية » ، ومكتبة الدهلوي ، ومكتبة الشيخ سرور الصبان ، ومكتبة باروم ، ومكتبة الغزاوي وغيرها . وقد أدت هذه المكتبات الخاصة خدمات جل في اثرها الحركة الثقافية والفنية والفكرية . أما أبرز المكتبات العامة في مكة المكرمة من حيث الضخامة والمحتوى فهي «مكتبة الحرم المكي الشريف» التي تعتبر مركزا للاشعاع الثقافي ومأوى للتراث الانساني الفكري .

وتشير الدلائل الى أنه كان في المسجد الحرام خزائن للكتب يعود تاريخها الى القرن الخامس الهجري . فقد جاء في كتاب « أخبار مكة » للأزرقي أن سيلا عارما حدث عام ٨٤١٧ هـ ودخل الحرم ووصل الى خزائن الكتب فأثلف منها الشيء الكثير .. تلك الخزائن كانت نواة لمكتبة الحرم المكي الشريف التي كانت تسمى فيما مضى « بالمكتبة المجيدية » نسبة الى السلطان العثماني الذي أسسها وجمع فيها من شتات كتب التراث الموجودة في الحرم ، ثم زودها بمجموعات أخرى من عيون الكتب التي جلبها من الآستانة . وتوجد في هذه المكتبة اليوم رقيقة من الحجر المنحوت عليها خمس أبيات من الشعر باللغة التركية ، وعبارة « السلطان عبد المجيد في شوال سنة ١٢٦٢ هـ » . وفي عام ١٣٤٦ هـ ضمت «مكتبة الشرواني» الى

وتمتاز مخطوطات هذه المكتبة باصالتها وجودتها وتنسيقها حتى أنها تشبه في ندرة نسخها ، المتاحف . وجدير بالذكر أن الجامعة العربية قامت بتصوير عدد من مخطوطات هذه المكتبة العريقة بغية تحقيقها وطبعها على نفقتها الخاصة . وأقدم مخطوطة تحتضنها مكتبة « أحمد عارف حكمت » هي مخطوطة « الأوائل » للعسكري ، وقد تم املأؤها عام ٨٣٩٥ هـ ونشرف على هذه المكتبة وزارة الحج والأوقاف .

وعلاوة على ذلك ، يوجد في الحرم النبوي الشريف مكتبتان هما ، « مكتبة الحرم الشريف » وهي تحتل الركن الشمالي الغربي عند باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتضم حوالي ٧٠٠٠ كتاب بين مطبوع ومخطوط ، و « المكتبة المحمودية » نسبة للسلطان العثماني محمود الثاني الذي أنشأها عام ١٢٣٧ هـ ضمن المدرسة التي أسسها في الجهة الغربية من المسجد النبوي الشريف ، وقد خصص للمكتبة مكان في الطابق العلوي من المسجد . وتعود المخطوطات التي يقدر عددها بنحو ٣٠٠٠ مخطوط الى وقف الشيخ محمد عابد السندي المحدث الشهير رحمه الله ، ويشرف على هذه المكتبة وزارة الحج والأوقاف .

وفي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة مكتبة تعتبر منهلًا عذبا يستقي منه طلابها ألوان المعرفة والعلم . وقد أنشئت هذه المكتبة عام ١٣٨١ هـ ، وتضم ما لا يقل عن خمسة وعشرين ألف كتاب وعددا من المخطوطات والوثائق المصورة والصحف والمجلات ، تبحث في مختلف أنواع الثقافة لا سيما ما يتعلق بالتراث الاسلامي واللغة العربية وآدابها ومختلف العلوم المكتملة والمتصلة بهذه الموضوعات . وجرى بالذكر أن الجامعة قد أوفدت عدة بعثات الى الخارج في الأعوام الماضية لتأمين الكتب المطلوبة والمراجع العلمية من البلدان العربية ، كما اهتمت بتصوير الكتب المخطوطة وجلبها الى مكتبة الجامعة ، ولا زالت الجامعة تواصل جهودها وتسعى في توفير المزيد من الكتب . هذا وقامت الجامعة مؤخرًا بإنشاء مبنى خاص للمكتبة .



تزخر مكتبة « دار الكتب الوطنية » في الرياض بمختلف الكتب والمؤلفات التي يسهل الرجوع اليها باستعمال البطاقات الخاصة بها .

جانب ذلك على ألفي كتاب مخطوط، منها « الغيلانيات » تأليف محمد بن ابراهيم بن غيلان بن عبد الله اليزاز المتوفى عام ٨٤٤٠ هـ ، وهو أقدم مخطوط في المكتبة يرجع تاريخ نسخه الى أوائل القرن الخامس الهجري ، و « مسند الموطأ » لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الجوهري المتوفى عام ٨٣٨٥ هـ ويرجع تاريخ نسخه الى عام ٨٦٩٣ هـ ، و « الدرة الثمينة في فضل المدينة » لابن النجار المتوفى عام ٨٦٤٣ هـ . ولعل من أبرز محتويات مكتبة الحرم المكي ، كتابة السيرة النبوية على ست وعشرين لوحة بخط جميل زينت حواشيها بالألوان الزاهية البديعة ، وهي تعتبر تحفة فنية رائعة . كذلك المصحف الشريف الضخم المخطوط ويقع في خمسة مجلدات كتبت بخط شبه كوفي ، وتضم كل صفحة فيها ستة سطور تزدان أطرافها بألوان جذابة . وتطبق المكتبة نظام الاعارة الداخلية .

ومن المكتبات الأخرى التي تفخر بها مكة المكرمة مكتبة « مكة المكرمة » التي تشرف عليها وزارة الحج والأوقاف . وقد أسسها المرحوم الشيخ ماجد الكردي مدير الأوقاف بمكة المكرمة سابقا . وقد أنفق عليها أموالا طائلة حتى أصبحت في مصاف المكتبات الرائدة بمكة المكرمة . كما جلب لها كثيرا من الكتب المرموقة التي طبعت في أوروبا . وكان رحمه الله كلما سمع بكتاب جديد طلبه وضمه الى المكتبة مهما غلا ثمنه . والجدير بالذكر أنه أسس بجانبها مطبعة سدت فراغا كبيرا ، وطبع مؤلفات عدة لمشاهير علماء مكة . وكان يهدف من وراء ذلك التوسع المطرد لها ، الا أن المنية عاجلته ، فاشترى هذه المكتبة المرحوم الشيخ عباس قطان وأوقفها بعد أن أشاد لها مبنى ضخما . وقد كان لوزارة الأعلام اليد الطولى في إبراز هذه المكتبة في أبهى حلة ، وتنسيق محتوياتها ، فقد بلغ مجموع الكتب المطبوعة فيها حوالي (١٥٠٠٠) كتاب ، ومجموع الكتب المخطوطة ما ينوف على ١٢٠٠ مخطوطة . وهي تحتوي على طائفة كبيرة من كتب التفسير والحديث والأدب وسائر الفنون الأخرى . وجدير

هذه المكتبة توخيا للفائدة العامة . وأهديت اليها مكتبة من وقف الشيخ عبد الحق الهندي ، كما ساهم بعض أمراء مكة وعلمائها في تزويدها بالكتب المخطوطة والمطبوعة القيمة كالشريف عبد المطلب . والشيخ صالح عطرجي ، والشيخ علي الداغستاني ، والمرحوم الشيخ محمد نصيف وغيرهم . وقد ضمت اليها فيما بعد مكتبة « الشيخ عبد الستار الدهلوي » المتوفى عام ١٣٥٥ هـ ، والتي تضم نحو ١٨٥١ كتابا ورسالة مخطوطة ومطبوعة في مختلف فروع الأدب والمعرفة وكان قد جعلها قبل وفاته وقفا على طلاب العلم والباحثين ، ثم نقلت بعد وفاته الى مكتبة الحرم المكي الشريف ووضعت في جناح خاص بها تحمل اسمه ، ولها فهرس مستقل . أما تسميتها بـ « مكتبة الحرم المكي الشريف » فترجع الى عام ١٣٥٧ هـ حين غدت تضم رصيذا ضخما من الذخائر النفيسة والكتب القيمة والمخطوطات النادرة ، وأصبحت فيما بعد ضمن المكتبات التي تشرف عليها الرئاسة العامة للإشراف الديني بالمسجد الحرام . وقد أوصى المرحوم الشيخ عبد الرحمن المعلمي ، أمين المكتبة سابقا ، بأهداء مكتبته الخاصة الى مكتبة الحرم ، وبالفعل ضمت اليها عام ١٣٨٧ هـ ، حيث كانت تضم ٦٤٢ كتابا أهمها المصنوعات لأهم المخطوطات النادرة . كما أهديت اليها في عام ١٣٨٨ هـ « مكتبة الشيخ عبد الغني الزمزمي » رحمه الله ، و « مكتبة الحسن بن علي الأديسي » . هذا وقد اشترت الرئاسة العامة مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي رحمه الله ، التي كانت تضم ٤٧١٦ كتابا ومخطوطا ، وضممتها الى مكتبة الحرم . حتى يتاح لطلاب العلم والمعرفة الاستفادة من مراجعها وبحوثها الأصيلة . ويبدل كل من الرئاسة العامة وإدارة المكتبة حاليا جهودا منسقة ترمي الى تنظيم المكتبة وتطويرها لنظهر بالمظهر اللائق بها كمكتبة عامة تقع بجوار بيت الله الحرام . وتقدر محتويات المكتبة بحوالي ١٩ ألف كتاب ومجلد ، عدا الكتب الأخرى المطبوعة باللغات التركية والأردية والفارسية . كما تحتوي الى



تعتبر مكتبة « الحرم المكي الشريف » من أبرز المكتبات الإسلامية ويؤمها علماء أجلاء فيجذبون في رحابها مختلف المصادر والمراجع التي تيسر لهم سبل البحث والتحقيق ..



بالذكر أن الكثيرين من أصحاب المكتبات الخاصة قد تبرعوا بمكتباتهم لمكتبة « مكة المكرمة » العامة تقديراً منهم للفائدة الجمة التي ستعود بها هذه المكتبات العامة على الأفراد والجماعات . ولهذا أصبحت هذه المكتبة حافلة بالكتب القيمة زاخرة بالمخطوطات النادرة ، التي من بينها « ديوان أبي فراس الحمداني » في مخطوطة يرجع تاريخها الى عام ١٢٩٠ هـ . و « ديوان البهاء زهير » منسوخاً بخط جميل ، و « القرى لقاصد أم القرى » للطبري ويرجع تاريخها الى محرم ١٢١٩ هـ .

ومن المكتبات المهمة الأخرى في مكة المكرمة ، « المكتبة المركزية للتعليم العالي » الخاصة بطلاب كلية الشريعة وهيئتها التدريسية ، وفي عام ١٣٨٤ قامت كلية التربية بإنشاء مكتبة مماثلة . وفي عام ١٣٨٨ تم دمج هاتين المكتبتين في مكتبة واحدة تتبع ادارياً كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة . وتضم هذه المكتبة بين جدرانها ما ينوف على ٧٥٠٠ مجلد تتبع في تصنيفها نظام ديوي .

٣-١-٢ المكتبات العامة

كان إيجاد ادارة عامة للمكتبات تحت اشراف وزارة المعارف من أولى ثمرات القرار الصادر عن مجلس الوزراء في ٢٤ محرم ١٣٧٩ هـ ، والذي يقضي بإنشاء دور حديثة للكتب في أمهات مدن المملكة العربية السعودية . وتضطلع هذه الادارة بتطوير حركة المكتبات العامة ، وتبني الأساليب الحديثة في تنظيمها ، وتزويد المكتبات التابعة لها بالكتب العلمية والأدبية . ويتبع ادارة المكتبات العامة الآن عشر مكتبات ، لعل أهمها وأضخمها على الإطلاق مكتبة « دار الكتب الوطنية بالرياض » . وقد أنشئت هذه الدار في عام ١٣٨٢ هـ ، وكانت تعرف سابقاً باسم « دار الكتب السعودية » . وفي عام ١٣٨٨ هـ أطلق عليها اسمها الحالي . ويضم هذه الدار مبنى ضخم تحتل ادارة المكتبات العامة جزءاً من الدور العلوي منه . وتشمل الدار على ست قاعات فسيحة هي : قاعة المطالعة التي تستقبل رواد المكتبة بأعداد كبيرة وخاصة في أيام العطلة المدرسية . وقاعة الصحف والدوريات وتضم الأعداد الجارية من الصحف والمجلات المحلية والعربية والأجنبية وهي مزودة بجهاز ميكرو فيلم ، وقاعة الكتب الأجنبية وتضم مجموعات من الكتب باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية في جميع فروع المعرفة ، وقاعة المراجع التي تضم المصادر وأمهات الكتب في مختلف الموضوعات . وقاعة الأطفال في الدور الأرضي من المبنى . وهي تضم كتب الأطفال المصورة والمسلية والكتب العلمية المبسطة . وقد جهزت بالوسائل المناسبة للأطفال ، وقاعة عرض الأفلام الثقافية والتي تلقى فيها أيضاً المحاضرات وتقام فيها الندوات والمناظرات العلمية والأدبية . وتضم دار الكتب الوطنية بالرياض مجموعة من الكتب المطبوعة تقدر بنحو ١٥٠٠٠ مجلد ، و ١٠٧ من المخطوطات ، ونحو ٢٥ بكرة من الأفلام المصغرة . وتطبق الدار نظام الاعارة الداخلية ، ويبلغ معدل روادها حوالي ٢٥٠٠ رائد شهرياً ، وتتبع طريقة « ديوي » العشرية في تصنيف محتوياتها . أما المكتبات الأخرى التابعة لادارة المكتبات العامة فهي موزعة بين الدمام ، والمهوف ، وبريدة ، وعنيزة ، وحوطة سدير ، وشقراء ، وحوطة بني تميم ، وحريملاء . وتضم هذه المكتبات زهاء ٢٤٠٠٠ كتاب ومجلد . وتقوم الادارة العامة للمكتبات بين الفينة والأخرى بتزويدها بالكتب الهادفة والبناءة .



جانب من مكتبة كلية البترول والمعادن في الظهران ، وهي تزخر بآلاف الكتب والمراجع العلمية ذات الاختصاص التي تسهل على طلابها مهمة البحث والتحقيق ..

طلاب معهد الادارة العامة بالرياض يجلسون في مكتبة المعهد التي تعتبر من المكتبات المتخصصة خير مكان للمطالعة والاستزادة من المعرفة .



البلاد العربية والدراسات والبحوث والكتيبات الصغيرة ، ومطبوعات كل من هيئة الأمم المتحدة والمعهد الدولي للعلوم الادارية وجامعة الدول العربية . ويبلغ مجموع الكتب التي تحتضنها رفوف هذه المكتبة حاليا نحو ١٥ ألف كتاب ومجلد ما بين عربية وانجليزية ، تبحث في مختلف الموضوعات المتعلقة بمجال تخصص المعهد ، ويتبع في تصنيفها طريقة ديوي العشرية . وبالإضافة الى ذلك يوجد في مركز الوثائق في الوقت الحاضر ما يقارب من ٢٥ ألف وثيقة حكومية يرجع تاريخ بعضها الى عام ١٣٤٣ هـ . وتضم أيضا ما ينوف على ٤٠٠ مرجع رئيسي باللغتين العربية والانجليزية . ومن بين محتويات المكتبة أيضا آلة قراءة وتصوير « المايكرو فلم » لاستخدامها في عرض الأفلام الخاصة ببعض الوثائق وعددها نحو ١٥٠ بكرة . وينتفع بخدمات المكتبة الدارسون الحاليون في المعهد وخريجوه وخبراء المعهد وأساتذته وموظفوه ، والباحثون من الطلبة وغيرهم وجميع موظفي الدولة . ويعتبر نظام الاعارة الخارجية الذي تطبقه هذه المكتبة من أنجح النظم . فهي تستخدم آلة كهربائية أوتوماتيكية حديثة لتنظيم عمليات اعارة الكتب وتداولها دون الحاجة الى تعبئة استمارات ، وبذلك تعمل على توفير وقت الموظف المسؤول .

ومن المكتبات الأخرى في الرياض « مكتبة معهد العاصمة النموذجي » التي أنشئت عام ١٣٧١ هـ . وتضم زهاء ٧٠٠٠ مجلد . كما أن لدار الافناء مكتبتين تقتصر محتوياتهما على الكتب الدينية واللغوية ، وهاتان المكتبتان هما « المكتبة السعودية » و « مكتبة ابن تيمية » .

المكتبة في جدة

تزخر جدة بالمكتبات الخاصة نظرا لازدهار الحركة الأدبية والعلمية فيها . وتكاد تكون « مكتبة العلامة الراحل الشيخ محمد نصيف » في طليعة المكتبات الخاصة . فهي حافلة بالقديم والحديث من التأليف وتغص رفوفها بالكتب القيمة . والمعروف ان الشيخ نصيف بدأ بجمع الكتب عام ١٣٢٣ هـ ، فكان اذا حضر مجلس عالم من العلماء ورآه يطالع في كتاب معين عمد الى شراء نسخة منه ، وهكذا تجمع لديه مجموعة تضم أمهات الكتب ، نظمها وجعلها نواة لمكتبة . ومع الزمن أخذت محتويات مكتبته تكبر وتزداد حتى أصبحت اليوم تضم ما لا يقل عن عشرة آلاف مجلد يبحث معظمها في كتب التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والبلاغة والتاريخ القديم والحديث والأدب . هذا فضلا عن مجموعة من المخطوطات القديمة التي يربو عددها على ثلاثين مخطوطة أقدمها مخطوطة « تيسير الوصول في الحديث » لابن الديبع الشافعي المتوفى عام ٩٤٤ هـ وعمرها حوالي ٣١٤ سنة . أما أثمن كتاب لدى مكتبة الشيخ نصيف ، فهو كتاب « المعجم المفهرس لأحاديث الصحاح » الذي كلفه ٢٥٠٠ ريال سعودي . وكان هذا العالم الفصيح ، رحمه الله ، اسهاما منه في نشر الثقافة والعلم ، يطبع بعض الكتب على نفقته الخاصة . وقد أبدى الشيخ محمد نصيف - قبل وفاته - رغبته لوقف مكتبته هذه حتى تكون نواة لمكتبة عامة في جدة .

ومن بين المكتبات الخاصة الأخرى « مكتبة الشيخ حسونة بن علي البسطي » . وقد بدأ الشيخ البسطي بجمع الكتب وهو في المدينة المنورة ، وعرف بميله الشديد الى اقتناء الكتب والمخطوطات الأصيلة . ولما استقر في جدة اشترى أرضا ابنتى عليها دارة جميلة أصبحت فيما بعد موقلا



العلامة الراحل والشيخ الجليل محمد بن حسين بن عمر أفندي نصيف الذي انتقل الى رحمة الله عن عمر يناهز ٩٠ عاما قضاها في خدمة العلم والمعرفة . . وقد كان رحمه الله رائدا من رواد العلم والفكر الذين أسهموا في ارساء قواعد الحركة العلمية والثقافية في المملكة العربية السعودية . . وقد خلف وراءه ينوها ثرا ومعينا معطاء من الكتب والمخطوطات ، وقد التقطت له هذه الصورة قبيل وفاته ، رحمه الله .

ومن المكتبات الأخرى البارزة في الرياض « مكتبة جامعة الرياض » ، ففي كل من كليات جامعة الرياض مكتبة خاصة تضم طائفة قيمة من الكتب العلمية والأدبية ومجموعة كبيرة من المراجع والمصادر الحية التي يستعين بها الطلاب في حقول تخصصهم . وتوجد لدار الجامعة « مكتبة مركزية » تقع في المبنى المجاور لكلية الصيدلة تزخر بأكثر من ثمانين ألفا من الكتب والمراجع الأدبية والعلمية العربية منها والأجنبية . وتهتم المكتبة المركزية بمخطوطات التراث العربي القديم والمراجع العربية النادرة اهتماما كبيرا . وتشمل المكتبة قسما خاصا لدراسة الكتب والمؤلفات الحديثة وتحليلها ، وتزويد مكتبات الجامعة كل حسب حاجتها . . بالكتب والمراجع الحية الحديثة ، كما تشمل قسما آخر لتصنيف الكتب وفهرستها بطريقة « ديوي » العشرية .

ومن بين المكتبات العامة في الرياض « مكتبة معهد الادارة العامة » التي أنشئت عام ١٣٨٢ هـ ، وهي من المكتبات المتخصصة ، وتضم مجموعة مختارة من أحدث المراجع العامة والمتخصصة والكتب والأبحاث والدوريات التي تبحث في ميدان الادارة العامة وما يتصل بها من موضوعات . كما تضم مجموعة الوثائق والأنظمة الخاصة بالمملكة وبعض أنظمة وقوانين



فضيلة الشيخ حسونة البسطي يراجع بعض الكتب التي تحويها مكتبته ..

لطلاب العلم ، فهي تفتح أبوابها للجميع صباح مساء ، ولم يرض الشيخ على مكتبته بتزويدها بالكتب الثمينة والمجلات الدينية والعلمية والأدبية حتى غدت تحفل بكل أنواع المعرفة والعلوم . وقد ضرب الشيخ البسطي أروع مثل في العطاء عندما أوقف المكتبة والبناء على « مدرسة الفلاح » بجدة . ويجري حالياً فهرست محتويات المكتبة . وهي تضم عددا كبيرا من المجلات القديمة منها والحديثة والتي تصدر في الأقطار العربية والإسلامية وأقدمها مجلة « الجنان » التي صدر العدد الأول منها في يناير ١٨٧٦م . ومن المجلات الأخرى « الكوثر » و « المنهاج » و « النبراس » و « الذخيرة » و « ثقافة الهند » و « الكويت » و « الهدى الإسلامي » .

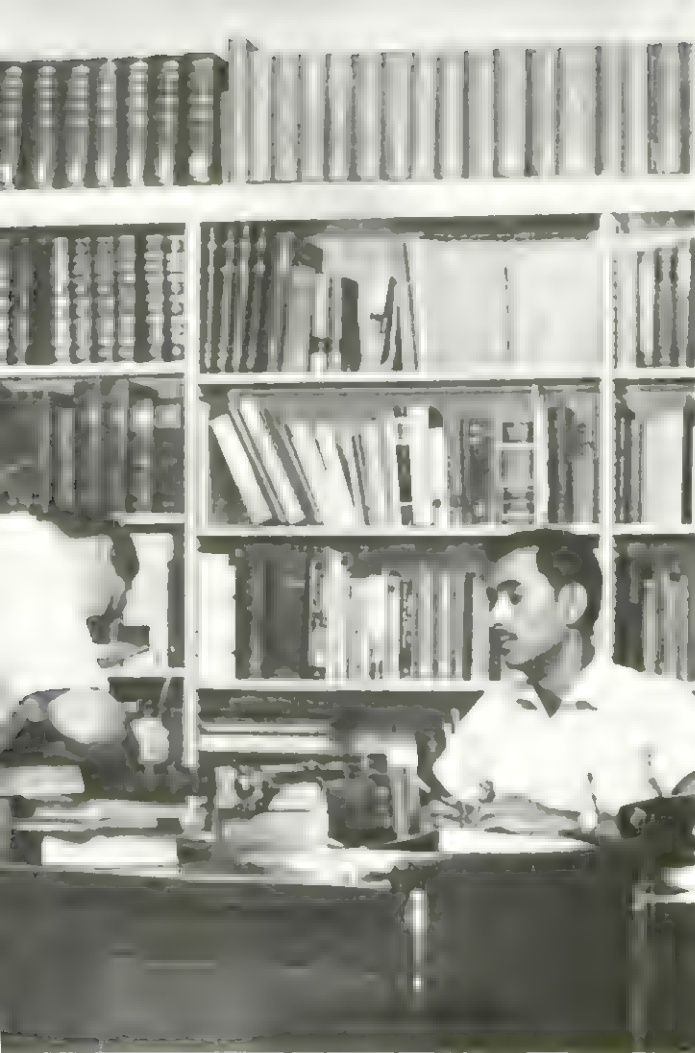
وفي جامعة الملك عبد العزيز الأهلية مكتبة مركزية تضم زهاء ٢٣ ألف مجلد ، بالإضافة الى العديد من المطبوعات والنشرات الدورية والمجلات . وتتلقى المكتبة باستمرار الكثير من الكتب والمجلدات والمطبوعات على شكل هدايا يتبرع بها المؤلفون أو أصحاب المكتبات الخاصة . وتتم عملية اختيار الكتب والمراجع بالتعاون بين جهاز المكتبة وأعضاء هيئة التدريس كل حسب اختصاصه . وتتولى الاشراف على شؤون المكتبة المركزية لجنة خاصة مؤلفة من ممثلين عن ادارة الجامعة وأعضاء هيئة التدريس والمكتبة . وقد التحقت بالمكتبة وحدة للأفلام المصغرة « الميكرو فيلم » بلغ مجموع أفلامها ١٨٨ فلما ، منها ٤٦ بالعربية والبقية بالانجليزية . وتصدر المكتبة نشرات دورية عما يردها من كتب ومجلدات ، كما تقوم بتصوير المخطوطات القيمة التي تضمها رفوف المكتبات المحلية المنتشرة في جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة توطئة لفهرسة تلك المخطوطات .

المكتبات في المنطقة الشرقية

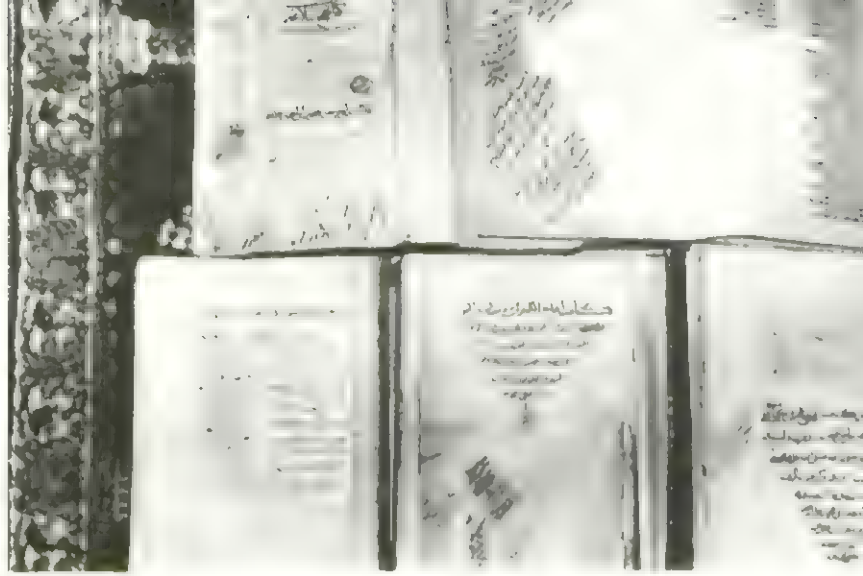
كان لتدفق الذهب الأسود من هذه المنطقة الأثر الأكبر في انعاش الحركة العمرانية التي حثت بوزارة المعارف الى تأسيس مكتبة عامة بالدمام عام ١٣٨٠هـ . وتضم هذه المكتبة حالياً ما يربو على أربعة آلاف كتاب يزيد عددها باستمرار ، لأن وزارة المعارف تمددها بالعديد من الكتب بين الفينة والأخرى . ومحتويات المكتبة مقسمة الى المعارف العامة ، والفلسفة ، وعلم النفس ، والديانات ، والعلوم الاجتماعية ، واللغة ، والعلوم البحتة ، والعلوم التطبيقية ، والفنون الجميلة ، والآداب ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والتراجم والسير .

وهناك عدد من المكتبات الخاصة والعامة في كل من القطيف والاحساء والخبر والظهران تسهم الى حد كبير في نشر الوعي الثقافي بين المواطنين .

ففي مدينة القطيف توجد مكتبة عامة واحدة هي مكتبة مركز الخدمة الاجتماعية ، وكانت تعرف سابقاً « بالمكتبة الأهلية » التي أسهم في تأسيسها عام ١٣٧٤هـ نفر من أبناء القطيف المثقفين . ولما افتتح مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف ضمت المكتبة الأهلية الى مكتبة المركز عام ١٣٨٧هـ ، وخصص لها ركن هاديء في مبنى المركز الضخم . وتبلغ محتوياتها حوالي ٣٠٠٠ كتاب ، تدور حول علوم الدين واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة . ويطبق في هذه المكتبة نظام الإعارة الداخلية . وجدير بالذكر أن المكتبة تتلقى الكتب من وزارة المعارف ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية الى جانب ما تتلقاه من كتب على شكل تبرعات من بعض الأفراد والمؤسسات الأهلية والشركات كآرامكو وغيرها .



جانب من مكتبة الأبحاث العربية التابعة لأرامكو ، وهي تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب والمراجع المختلفة التي يستعين بها الموظفون في إنجاز أعمالهم المتنوعة .



من أقدم المخطوطات التي تحويها مكتبة الشيخ محمد نصيف كتاب « تيسير الوصول الى جامع الأصول من أحاديث الرسول » لابن الديبع الشافعي المتوفى سنة ٨٩٤٤ .



مجموعة من المجلات التي تزخر بها مكتبة الشيخ الفاضل حسونة بن علي البسطي في جدة .. من أقدم هذه المجلات مجلة « الجنان » التي صدر العدد الأول منها في غرة المحرم ١٣٢٧ هـ ..

قديمة وحديثة على نفقته الخاصة ليفيد منها كل طالب علم . وتقوم دار الكتب التابعة لوزارة المعارف بقطر بتزويد هذه المكتبة بالكتب من مختلف أنواع المعرفة بين الفنية والأخرى . وهي تضم الآن ما يقرب من ٦٠٠٠ كتاب في تفسير القرآن والفقه واللغة والتاريخ والاجتماع والدواوين الشعرية والمعاجم . هذا ويقوم أمين المكتبة الشيخ يوسف المبارك بتوزيع بعض الكتب التي ترد من وزارة المعارف بقطر بناء على تعليمات سمو حاكم قطر ليفيد منها العلماء والمؤسسات العلمية والمدارس والمعاهد .

ومن المكتبات الخاصة في مدينة البرز مكتبة الشيخ المرحوم محمد بن عبد الله آل عبد القادر ، وهي تحتوي على كتب قيمة تبحث في التفسير والفقه وعلوم اللغة والأدب .

ومن المكتبات التي تزدهر بها الظهران « مكتبة كلية البترول والمعادن » ، وهي تعتبر من المكتبات المتخصصة نظراً لما تحتويه من كتب في العلوم والتكنولوجيا يستعين بها طلاب الكلية في حقول تخصصهم ، كما يجد

هذا وتزخر القطيف بالمكتبات الخاصة ، سيما وأنها تضم نخبة من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء . ومن بين هذه المكتبات الخاصة على سبيل المثال لا الحصر : مكتبة الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي ، ومكتبة الشيخ عبد الحميد الخطي ، ومكتبة الشيخ ميرزا حسين البريكي ، ومكتبة الشيخ علي المرهون ، ومكتبة الشيخ محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي ، ومكتبة الشيخ فرج العمران ، ومكتبة الملا سعيد العوامي ، ومكتبة الملا علي الطويل ، ومكتبة الشيخ عبد رب الرسول رضا الشامي وغيرها . وقد أسهمت هذه المكتبات بنفائها بتنشيط الحركة الأدبية وإثرائها .

وفي مدينة المحفوف نجد الى جانب المكتبة العامة التابعة لوزارة المعارف مكتبة عامة هي « المكتبة القطرية » التي تأسست عام ١٣٨٢ هـ ، وقد بناها وأنشأها سمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حاكم قطر سابقاً ، الذي عرف عنه سعة اطلاعه وولعه بالكتب ، فضلاً عن حبه في تيسير الكتب لكل من يطلبها ، فهو يتولى طبع مؤلفات عديدة قيمة بين



يقبل طلاب المدارس بشغف على قاعة المطالعة في مكتبة « الحرم المكي » لينهلوا من مناهلها العذبة ألوان الثقافة .

فيها أساتذة الكلية وموظفوها مختلف المراجع والكتب العلمية التي تهتمهم . وقد أنشئت هذه المكتبة في شهر رجب عام ١٣٨٥ هـ (سبتمبر ١٩٦٥ م) . وفي غضون هذه المدة القصيرة نسبيا غدت من المكتبات الرفيعة التي يجد فيها المرء مبتغاه . اذ تمتاز بدقة تسييقها . وتضم المكتبة زهاء خمسة وعشرين ألفا من الكتب بما في ذلك الموسوعات والمعاجم والمراجع معظمها باللغة الانجليزية . الى جانب الكتب الأدبية والتاريخية والاسلامية باللغة العربية . وعلاوة على ذلك هناك ركن خاص بالمجلات المتنوعة ترد المكتبة بانتظام ويربو عددها على مائة ألف مجلة ونشرة علمية . وقد بوشر بتجليدها حفاظا عليها وتسهيلا للرجوع اليها والاستفادة منها . والجدير بالذكر أن مكتبة كلية البترول كانت تتبع في تصنيف الكتب في الماضي الطريقة العشرية المعروفة بنظام ديوي . ولكن بعد دراسات أجريت مؤخرا وجد المسؤولون في المكتبة أن نظام مكتبة الكونجرس الأمريكي هو الأفضل بالنسبة الى مكتبتهم لأنه قابل للتوسع واحتمال الخطأ فيه ضئيل . ولذلك بدأت المكتبة تتبع هذا النظام الأخير في تصنيف وتنظيم محتوياتها . وفي المستقبل القريب سيكون هناك مبنى خاص بالمكتبة مؤلف من أربعة أذوار ضمن مشروع الحرم الجامعي الجديد .

وعندما يتم انشاء مبنى المكتبة الجديد يتوقع أن تضم في بداية الأمر نحو ربع مليون مجلد ، ثم يزداد عددها تدريجيا حتى يصل الى أربعمئة ألف مجلد . هذا وسيخصص قسم من المكتبة لاستعماله كمركز للدراسة بوسائل الايضاح السمعية والبصرية ، كما ستكون هناك أماكن فيسيحة للمطالعة الخفيفة ، بالإضافة الى مقصورات متنقلة للدراسة الجدية . وستستخدم الآلة الحاسبة الإلكترونية في مساعدة الدارسين على العثور على الكتب والمراجع المطلوبة وفي عمليات جرد الكتب والمراجع وتسجيلها وضبطها .

ومن بين المكتبات في الظهران « مكتبة الأبحاث العربية » ، وهي جزء من ادارة العلاقات بالحكومة المحلية التابعة لشركة الزيت العربية

الأمريكية . وقد تأسست هذه المكتبة عام ١٩٤٧ م ، وتضم بين جدرانها ما يتوف على ١٥٠٠٠ كتاب يبحث معظمها في الشؤون التاريخية والثقافية والأدبية واللغوية لبلدان الشرق الأوسط بالعربية والانجليزية وجزء ضئيل منها بالألمانية والفرنسية والاطالية ، فضلا عن المعاجم والموسوعات والمخطوطات . هذا وترد المجلات والصحف والنشرات الدورية باللغتين العربية والانجليزية الى المكتبة بانتظام . وفي المكتبة جهاز لقراءة الأفلام المصغرة « Microfilm Reader » وقد بلغ ما لدى المكتبة ما يقرب من ١٦٠ ألف قدم من أشرطة الأفلام المصغرة التي جرى تصوير معظم المجلات السعودية الرائدة عليها . ويقوم أمناء المكتبة بحفظ الصحف السعودية في مجلدات ضخمة ليرجع اليها كل من أراد أن يستكمل بحثا أو ينشد حادثة معينة . وتسير المكتبة في ترتيب محتوياتها على نظام « ديوي » .

وبجانب مكتبة الأبحاث العربية « تقوم مكتبة ضخمة هي « المكتبة الفنية المركزية » . وهي تحوي أعدادا كبيرة من الكتب والمراجع العلمية التي تتعلق بصورة رئيسية بهندسة البترول . فضلا عن الجيولوجيا والفيزياء والكيمياء والرياضيات . وقد تأسست هذه المكتبة عام ١٩٥٦ م لتزويد موظفي الشركة من فنيين ومهندسين بالمعلومات التي تتعلق بأعمالهم . وتضم المكتبة حوالي ٢٢ ألف كتاب و ٣٠ ألف مجلة متنوعة تتناول الشؤون العلمية وخاصة الزيت ، بالإضافة الى الموسوعات وأحدث الكتابولوجيات والتقارير السنوية لمعظم شركات الزيت . كما تضم نسخا من دليل التجارة العلمي . وهي تتلقى سيلا من المجلات والنشرات الدورية وما يقرب من مائتي كتاب كل شهر .

وبعد . تلك هي جولة قصيرة في عدد من المكتبات العامة والخاصة التي تحتضنها أمهات المدن في المملكة العربية السعودية ، والتي تعتبر دعامة أساسية في صرح النهضة الفكرية ومرتعا خصبا لنشر الوعي الثقافي

بين المواطنين

تصوير : عبد اللطيف يوسف ، علي محمد خليفة

سليمان العتيبي

من في رمضان



صل الله عليك في القرآن
أصبو الى لقاءك كل أوام
في جوقه بقاء للألحان
تجف الحمام بوارف الأعصان
فكأنما هي واحد لا ثان
أجود لذكرها مدى الأكران
يمتلئ من مكتبته الأزدان
كترجاء يوم الحشر في الفسوان
منها عليه سكة الدبان

(رمضان) يا أملوحة الإيمان
قد عشت «مكة» في نداء وإنني
يا مهدت لك المفتي علفني
تربلتها «الذكر» العزير، كأنه
وركوعها وسجودها في مرة
يا «كعبة» طوقت فيها في الدجى
أنلوا عليها آية منجاة
لما دنا فرس العشاء وجدني
يا للجمال بشهد عابته

طفلاً يزور منازل الأعيان
رددت ذكراها بحر بيان
يأتي له «رمضان» طي طعان
أعنى الفناء مع بالفرسان
لعلت وذات علقم العُزَّان
شاهت وجهكمو على المُرَّان
أضداد أحلام بغير جنان
زحف العدو مشى الرجحان
متنبلاً بأشواق الشجمان
الذكرى لديه تهب في «رمضان»
نمو على الدنيا من الرحمن

لما انعدت الى (المدينة) خلعتني
فخلعت القاميل أبعث بهجة
بأبي (المحمَّد) وهو عين زمانه
(يدل) تكون وابن من غمراتها
جاءت «قرش» بخلها وبرجلها
قال «الرسول» بوجه أعداء التقى
وقد دنت حلالهم فكاليها
فاسمع مناحات على آبادها
قد زوت تلك الأرض أشهد يومها
(رمضان) من «تدو» و «تدو» عنده
يا رقة حقت عليها رقة

للساعر المكنون زلمي المحاسني

هي خطمت ناريج إسلام الزوى
قد أنزل القرآن في آلائه
شهر عليه من العبادة زينة

الجلد والعليا بها ميزان
نور الهدى لرجاحة الإنسان
ملء القوس تقي بالإنسان

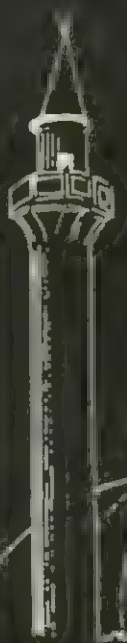
سلم على أهل الحجاز وقل لهم
دار العودة ينبع بعدها
وسألت عن أرض عكاظ، غدها
جمع التجارة في عميم مكاتب
لو عاد بي دعري لجت مكنيا
أشدت شعري عند حيمة شاعر
ولبت «خساء» الحبان مدالة
يا ليت حظي ما الحياة وما اقوى
(رمضان) لا أنسى أوان ذهبه
لا أنسى أني أراه مواثلي
ناحت له «أمي» لدى توديعه
راحت من الدنيا وأبت حرنى
سكت على «قنون (١)» في شام الدنى
ويجئني (رمضان) وفي رهبة

قد كان بهنا بينكم وحداني
وتجودها الخيرات بالهملان
يطاها يوم التقى الجمعان
وجماعة الغراء في التبان
بعاءة جلت عن الأبدان
بنى البرج به إلى ذنبان
بصالح جمعت مصاع جمان
لولا البيان شعري القبان
يا ليت عاماً جاده يعيان
حيات كومة معتر الضيفان
حتى تحفل كالدم العفشان
من بعدنا رقت البكا العينان
والعوطان أمامها نوران
الذكرى أعادها على أحراني

قل (لرياض) وإن فيها «غاملا»
ويجئها (رمضان) مكرور الهدى

للمغرب جاء كنحة الأزمان
بعوده في نيرة وأمان

(١) جبل الشام الأسم والمقل عليها



التلهيد ميسب بالوسيط المكيماوي

عرف الانسان الزيت كمادة خام منذ ازمان موعنة في القدم ، واستعمله في أغراض البناء والطلاء والاضاءة والحروب وتعبيد الطرق وغيرها . الا انه بالرغم من معرفته لهذه المادة واحراكه لفوائدها الجمة ، فان استعماله لها ظل محدودا نظرا لافتقاره آنذاك الى الوسائل والأساليب الفعالة لاستخراجها من باطن الأرض وتحويلها الى مشتقات ومنتجات عديدة ينتفع بها في أغراض شتى .

على انه في أعقاب النجاح الذي أحرزه الكولونيل « دريك » في حفر أول بئر منتجة للزيت في عام ١٨٥٩ ، وهو العام الذي اعتبر بداية عهد صناعة الزيت ، امتدت محاولات البحث والتنقيب عن الزيت ، فقامت شركات عديدة في أجزاء مختلفة من المعمورة للمساهمة في استخراج هذه الثروة من مكامنها واستغلالها ، وأشيدت المصافي والمعامل لتكرير الزيت الخام وإنتاج مشتقات عديدة نافعة منه تفي باحتياجات الانسان ومتطلباته التي لا حصر لها .

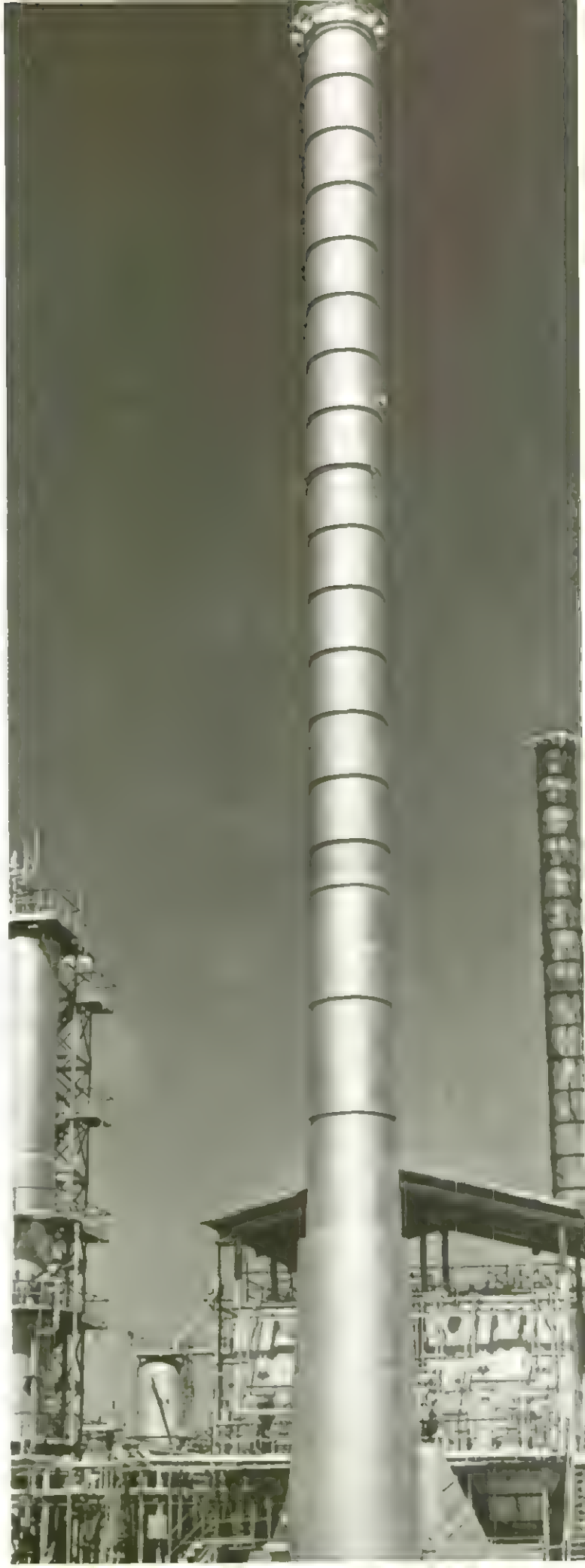
تكوين الزيت وتركيبه

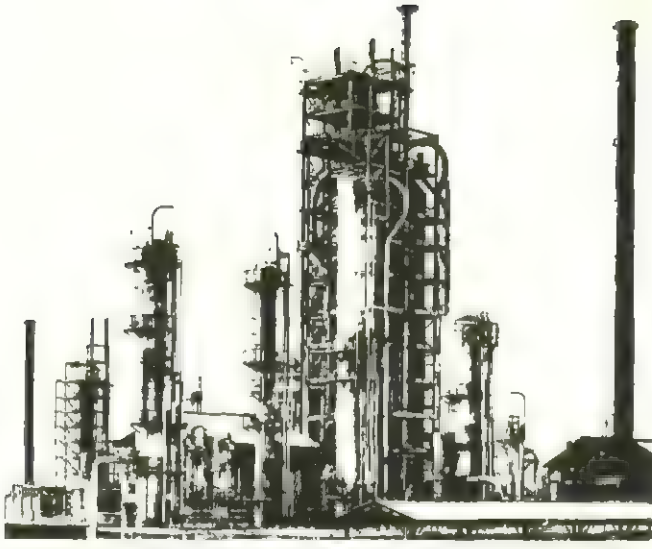
والمعروف ان خواص الزيت الخام الطبيعية تختلف باختلاف أنواعه ، فبعضها ثقيل ولزج ، والبعض الآخر خفيف ورائق . وتختلف درجة الوزن النوعي للزيت الخام من نوع الى آخر ، كما تختلف نسبة الكبريت الذي يحويه .

أما من حيث تكوينه فهو يتكون من جزيئات تحتوي على الهيدروجين والكربون ، وهما عنصران أساسيان من العناصر الكيميائية المعروفة . وتحتوي جزيئات الزيت الخام على أعداد مختلفة من ذرات الايدروجين والكربون متحدة بعضها ببعض بأشكال وأعداد ونسب مختلفة .. فبعض المركبات البترولية الثقيلة ، كالاسفلت ، يحتوي على عدد كبير من ذرات الكربون ، أما المركبات الأخف فتحتوي عددا أقل نسبيا من ذرات الكربون ، كما هو الحال في المشتقات المتطايرة كالبترين .

الفرن الضخم الذي يتوسط وحدة التلهيد الحراري في رأس ثنورة حيث يجري تكسير جزيئات النفط وإعادة تركيبها بغية تحسينها ورفع درجة الأوكثان فيها .

قوة زيت





منظر عام لوحدة التهذيب الايدروجيني التابعة لمعمل التكرير في رأس تنورة حيث يبدو المفاعل الضخم . ويشكل هذا المفاعل جزءا هاما من وحدة التهذيب .

بالاستعانة بوسيط كيميائي ، وهو ما يعرف بـ « التهذيب بالوسيط الكيميائي Catalytic Reforming » مع الأخذ بعين الاعتبار ان الغاية الأساسية من فكرة التهذيب بالوسيط الكيميائي هو زيادة قدرة منتجات البترول ، كالبزين مثلا ، على الاشتعال ورفع درجة الأوكتان فيه . ولذلك يعتبر الوسيط الكيميائي بمثابة عامل مساعد لاحداث التفاعل الكيميائي ، دون أن يطرأ عليه أي تغير كيميائي لدى اتمام عملية التفاعل هذه .

ومن بين طرق التهذيب التي تعتمد الوسيط الكيميائي والتي يجري استخدامها في معامل التكرير ، طريقة التهذيب البلايني — Platforming أي تهذيب جزيئات الزيت باستخدام وسيط كيميائي مادته الأساسية البلاين .. وقد استحدثت هذه الطريقة عام ١٩٤٩ ، وهي تعتمد وسيطا كيميائيا يتألف من مركب ناقل لأكسيد الألومنيوم « Alumina » يحتوي على نسبة من البلاين تتراوح بين ٠,٤ و ٠,٧٥ في المائة بالوزن ، وذلك حسب النوع المطلوب انتاجه .. ويضاف الى هذا المركب نسب معينة من الكلور أو الفلور ، أو كلاهما معا ، كمواد منشطة .

والجدير بالذكر ان عملية تهذيب البنزين الثقيلة بالوسيط الكيميائي ينتج عنها صنف غني بالمركبات العطرية والبارافينية المتماكة ، أي عناصر ذات قدرة عالية على الاشتعال .. هذا ويمكن تجديد الوسيط الكيميائي في موضعه الى أن تخف فعاليته فيسحب عندئذ ويستبدل ، كما يمكن في الوقت نفسه استخلاص البلاين من الوسيط المستهلك . وقد تتبع هذه الطريقة في صنع عناصر بنزين السيارات الممتاز أو في انتاج المهدبات البلاينية الغنية بالعطريات التي ربما تستخدم في انتاج بنزين الطائرات أو كمصلر للعطريات في صناعة البتروكيماويات .. ويتولد عن اتباع هذه الطريقة كمية أكبر من الهيدروجين تستعمل في عملية انتزاع الكبريت بالهيدروجين وعمليات المهدجة الأخرى (التكسير) ، كما ان عملية التهذيب تتم في جو هيدروجيني يمنع تكون الفحم على الوسيط الكيميائي ويقيه نشاطا .

كان البلاين ، حتى وقت قريب ، يستعمل بصورة عامة كوسيط كيميائي في عملية تهذيب البنزين لدى معظم شركات الزيت في العالم

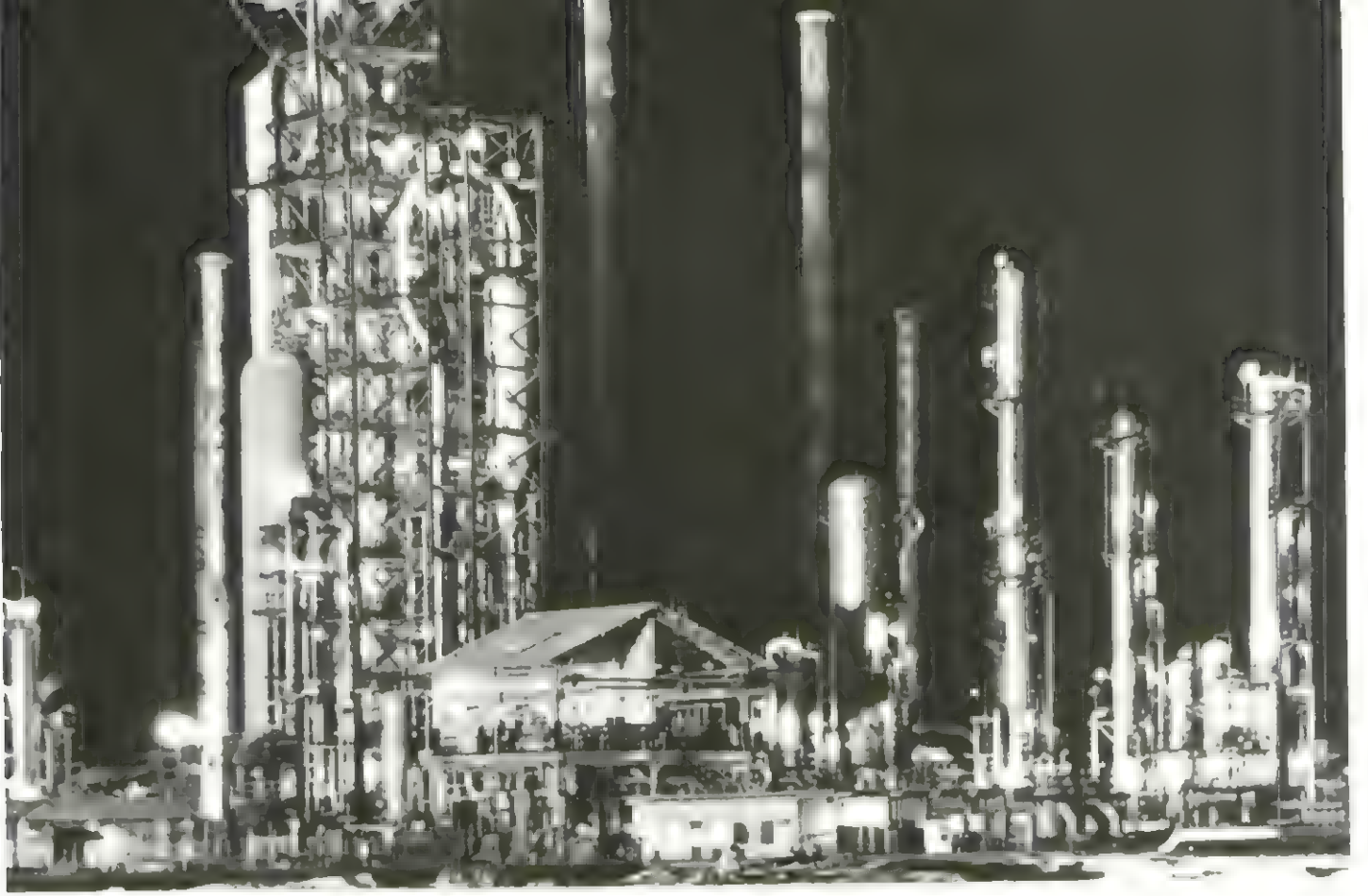
وبالإضافة الى الجزيئات الايدروكربونية ، يوجد في الزيت ، في كثير من الأحيان ، شوائب كثيرة ، كالماء والأملاح ومركبات الحامض والكبريت ، وهذه الشوائب تختلف نسبتها من نوع الى آخر ، وذلك بسبب اختلاف العوامل التي أدت الى تكوين كل نوع .

بيد ان الحاجة الملحة لانتاج أفضل من الوقود تتفق وروح التطور الذي أصاب الآلة والمحرك ذا الاحتراق الداخلي ، قد حفزت رجال الزيت للعمل على تطوير طريقة فعالة تقي بمقتضيات هذا التطور المتنامي في حقل صناعة المحرك والآلة .. وقد جاءت هذه الفكرة نتيجة طبيعية للطلب المتزايد على أنواع أفضل من الوقود تعتمد عليها فعالية المحرك الى حد بعيد .

تهذيب الزيت الخصل

وفي مطلع القرن الحالي اكتشف رجال التكرير ظاهرة تبين لهم من خلالها انه في حال تسخين الزيت الخام الى درجات عالية من الحرارة فان ذلك يؤدي الى الحصول على منتجات بترولية ذات نوعية عالية ، مثل الكيروسين .. ونتيجة لهذه الظاهرة التي اكتشفها رجال الأبحاث ، فقد تمكنوا خلال الثلاثينات من القرن الحالي من تطوير طريقة لتكسير جزيئات الزيت الخام وإعادة تركيب أجزاء معينة من مركباته وتهذيبها ، وذلك باستخدام الوسيط الكيميائي . وتعرف هذه الطريقة علميا باسم « التكسير — Cracking » . ومنذ ذلك الحين ورجال الأبحاث ما انفكوا يوالون دراساتهم ومحاولاتهم سعيا وراء أفضل الأساليب وأجدى الوسائل الرامية الى تطوير صناعة الزيت تطورا يتفق ومتطلبات العصر واحتياجاته .

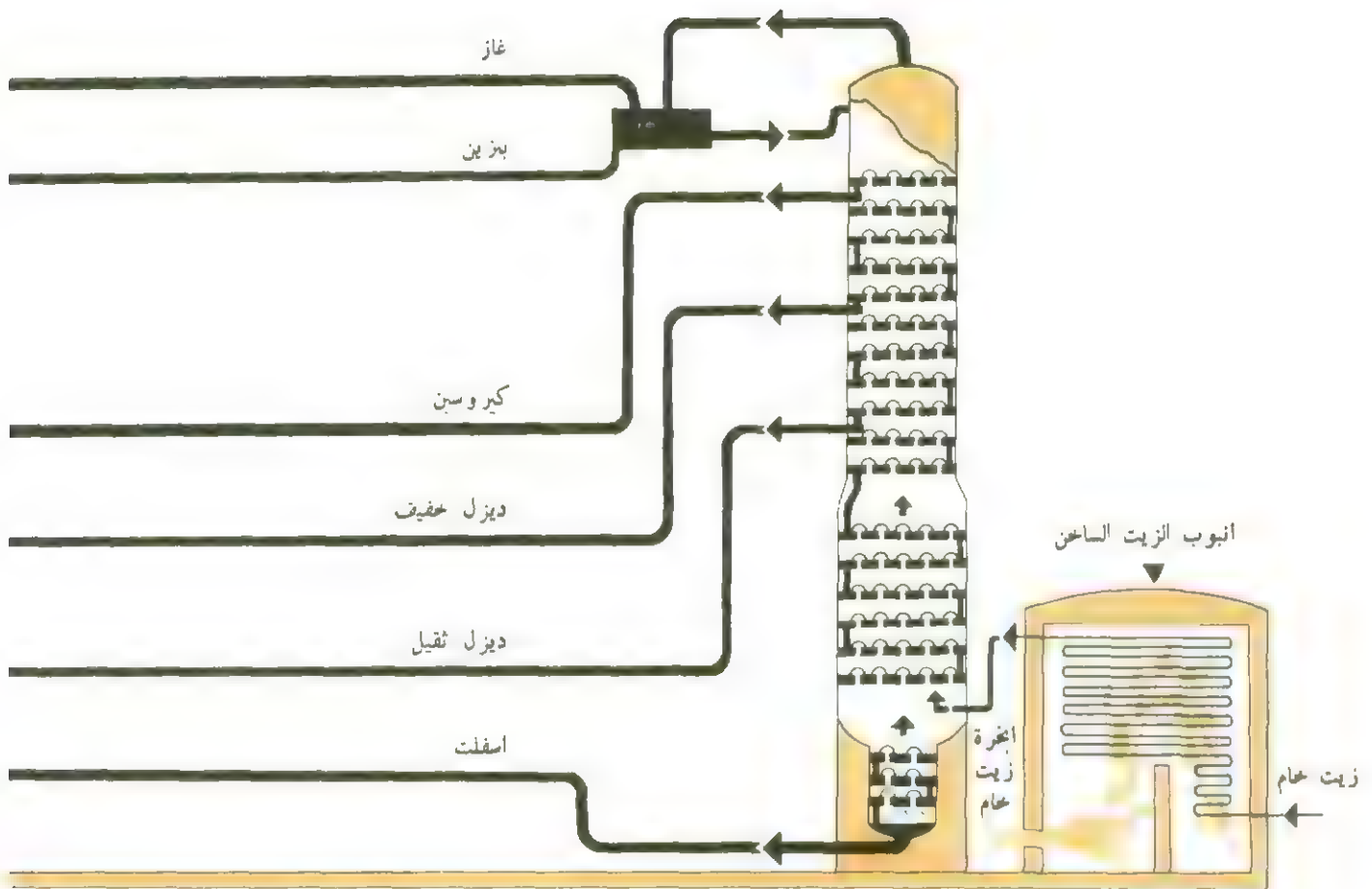
والتهذيب بشكل في حد ذاته مرحلة من مراحل التكرير التي تعتمد بصورة عامة على تكسير جزيئات المنتج البترولي تكسيرا دقيقا بحيث يكون التغير في حجم جزيئاته الهيدروكربونية وتركيبها مطابقا لمواصفات معينة ، وذلك للزيادة من قدرة هذا المنتج على الاشتعال .. ولذا يمكن القول بأن « التهذيب — Reforming » عملية مزدوجة ، فهي تجزئة من ناحية ، وإعادة تركيب الجزيئات من ناحية أخرى .. وتتم هذه العملية اما بالحرارة ، وهو ما يعرف بـ « التهذيب الحراري — Thermal Reforming » أو



المفاعل الضخم في وحدة التهذيب الايدروجيني برأس تنورة حيث يتم تهذيب المنتجات بالوسيط الكيماوي .

بعض مرافق معمل التكرير التي يتم خلالها معالجة منتجات الزيت الخام وتحسين مواصفاتها .





رسم توضيحي يمثل برج التقطير الذي يجري فيه فصل منتجات الزيت بعضها عن بعض في معمل التكرير برأس تنورة .

ذلك كل من النفط وغاز الهيدروجين من أعلى برج المفاعل ، ويتحولان الى وحدات التكثيف .

وفي أثناء التفاعل تتكون طبقة من فحم الكوك على جزيئات الوسيط الكيماوي ، وهذه المادة تؤثر بدورها على فعالية الوسيط الكيماوي . وللتخلص منها ، يرسل الوسيط الكيماوي الى برج التجديد الذي يستخدم فيه هواء مضغوط تبلغ حرارته ١١٠٠ درجة فهرنهايت ليتم بواسطته حرق تلك المادة المؤثرة والتخلص منها . وبعد عملية الحرق يعاد الوسيط الكيماوي من المجدد الى المفاعل لاستعماله ثانية ، وذلك عن طريق مرور غازات الاحتراق خلال أوعية سته ، تعرف بأوعية فرز العوامل المساعدة الموجودة في القسم الأعلى من برج التجديد .

ويقوم الوسيط الكيماوي في برج التفاعل باحداث تفاعل كيماوي في اللقيم الممزوج بغاز الهيدروجين لانحاز عملية التهذيب . أما غاز الهيدروجين فمهمته تزويد المفاعل بالحرارة والتقليل من تراكم الكوك على الوسيط . وتبلغ نسبة الأوكتان في البنزين المهذب بواسطة هذه العملية ٩٥ درجة أو أكثر

عيسى مسلم

تصوير : عبد اللطيف يوسف ، وسعيد الغامدي

ثمة وسائط كيماوية أخرى بالاضافة الى البلاتين والرينيوم ، تستخدم في عملية تهذيب المنتجات البترولية ، من بينها « أوكسيد المولبدنيوم - Molybdenum » الذي تستخدمه شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) في وحدة التهذيب الايدروجيني التابعة لمعمل التكرير في رأس تنورة . ويتكون هذا الوسيط الكيماوي الذي يبدو على شكل رمل ناعم جدا ذي لون رمادي ، من جزيئات الألومنيوم المشبعة بنسبة ١٠ في المائة من « أكسيد المولبدنيوم » . ومن ميزات هذا الوسيط الكيماوي انه ذو فعالية كبيرة بحيث لا يحتاج الى استبداله دائما ، كما هو الحال في الوسائط الكيماوية الأخرى ، غير ان كميته تأخذ بالتناقص مع مرور الزمن . الأمر الذي يتطلب اضافة مزيد منه للتعويض عما يفقده .

وتتم عملية التهذيب بهذا الوسيط بدخول النفط الى المفاعل على حرارة ١٠٠٠ درجة فهرنهايت وبضغط ٢٠٠ رطل على البوصة المربعة ، وفي قعر المفاعل تمتاز النفط بغاز الهيدروجين القادم من وحدة استخلاص المنتجات على حرارة قدرها ١٢٠٠ درجة فهرنهايت ، ثم يحدث التفاعل مع الوسيط الكيماوي الذي تبلغ حرارته ٩٢٥ درجة فهرنهايت ، ويتبخر أثر

اطلال

للشاعر محمد محمد الصويغ

وثورة الليل في صمتي والهامي
تمحو حنيني وتمحو فيض أنفامي
والحسن عالمه من بعض أوهامي
يا ويلتي منه .. ما نخشاه آلامي

فلست أرفض بذاك الوهم .. غدارا
حسنا غدا كابتسام الورد معطارا
بظل صرح بنائه الغدر تذكارا
لكنما الحب للنبار نبارا

فلا تعني بما أشدوه طغيانا
ألقي من البؤس والحرمان ألوانا
أشدو طليقا .. فلست اليوم ظمأنا
وسوف أصبحو من الأوهام انانا

وليس في القرب أفراحي ونظرابي
أشكو من الليل تعديبي وانعابي
فكم خدعت بها ظلي .. وأصحابي
فكيف تبغين بالآلام اغصابي

اليك عني .. عرفت الآن أحلامي
ما كان أجهلني .. والنار تحرقني
لا تسألني كيف أغدو غاضبا حنقا
أو لم تسمي هذا الخيال يحوطني

اليك عني .. تخذت الدمع أشعارا
فلا تزيل بهذا الحسن غاضبا
يا ليت شعري .. أعاد الوهم يخدعني
ما كاد يقتلني صمتي ولا صخبني

اليك عني .. أخاف القيد أحيانا
يكفيك أنني بتلك النار ظالمتي
ما ضيعتني ظنون الناس .. كنت بها
لا نهزأي .. انما الأيام دائرة

اليك عني .. فما في البعد أوصابي
شكوت ليل آلامي .. وهما أنذا
كرهت نفسي .. فلا تغريك ضحكها
أما عرفت فؤادي .. يا لقسوته

سَيَكُولُوجِيَّةُ اللامُبَالاة

بقلم الدكتور عبد الرحمن عرس

ان هذه الأعراض اذا وجدت في أي مجتمع كان، تسببت في افساد مظاهر الحياة فيه . ولذلك كان حري بنا أن نتساءل عن العوامل التي قد تولد مثل هذه الروح وتعمل على تقويتها وتغلغلها في حياة الأفراد . ومع ان مثل هذه العوامل قد تكون كثيرة ومتنوعة ، فقد رأيت أن أقصر حديثي على العوامل التي يمكن أن تنشأ في البيت أو المدرسة والتي من شأنها أن تؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر الى خلق هذا المرض الاجتماعي ونفثه .

التربية البيئية وزوج اللامبالاة

لا يخفى ما للبيئة البيئية من أثر فعال في تنشئة الأطفال والمساهمة في بناء شخصياتهم . فالطفل منذ ولادته وحتى موعد التحاقه بالمدرسة يتلقى خبراته في الحياة ، ويكتسب مفاهيمه عنها من خلال احتكاكه في البيئة البيئية . ولما كانت خبرات هذه الفترة الأولى من الحياة حاسمة في تكوين الشخصية وبناءها ، كان لا بد من مساعدة الطفل على اجتيازها بشكل حسن . ومع ان الكثير من الآباء يحرصون كل الحرص على تنشئة أبنائهم التنشئة الصحيحة ، الا أن الأسلوب الذي يتبعه الوالدان في الوصول الى هذا الهدف قد يؤدي الى نتيجة عكسية .

فهناك مثلاً فئة من الآباء يشتد بهم الحرص على سلامة أبنائهم فيعمدون الى تحذيرهم من القيام بأي عمل حتى لا ينتج عن ذلك ما يضر بهم أو يؤذيهم . وازاء ذلك ترى هؤلاء الآباء يسارعون الى القيام بكل ما يجب أن يقوم به الأبناء أنفسهم . ولا يخفى أن مثل هذا الأسلوب من التنشئة يولد عند الأبناء روح التردد والالتكال ، ويسلبهم روح الاستقلال في الرأي والعمل . وهناك على عكس من ذلك فئة من الآباء شديدة التساهل في تنشئة أبنائهم ، فهي لا تقف

المساهمة البناة في تشييد صرح هذا المجتمع والاعلاء من شأنه . فالمواطن الصالح ليس الذي يعيش بمعزل عن مجتمعه ، وانما الذي يشعر بأنه جزء هام من هذا المجتمع . وان عليه أن يشارك في وضع كل لبنة في بنيانه ، وفي كل خطوة توضع لأحكام هذا البنيان .

أعراض اللامبالاة

تظهر اللامبالاة في المجتمع وتتمثل في حياة الأفراد بكيفيات مختلفة ، وان كان لكل هذه الكيفيات طابع مميز ، وهو عدم مشاركة الفرد في الحياة من حوله . ومع ان حصر هذه الكيفيات أمر صعب وقد يطول ، الا انه من الضروري أن نعرف الى البعض البارز منها .

فهناك الأفراد الذين لا يشعرون بالانتماء الى المجتمع الذي يعيشون فيه ، وينصرفون وكأنه لا تربطهم صلة بأي فرد من أفرادهم ، وهؤلاء لا يفكرون في عمل أي شيء من شأنه خدمة مصالح مجتمعهم ، ولذلك تراهم يتميزون بانثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة . وهناك الذين لا يحاولون الاسهام في التخطيط لأوجه الحياة التي يعيشونها ، فهم ييخلون برأيهم ويضنون بجهدهم ويتقاعسون عن العمل . تاركين لغيرهم تحمل كل هذه المسؤولية . ثم هناك الذين يرون الاعوجاج في مجتمعهم فلا يهون لتقويمه ، ويرون الفساد ينتشر فلا يحاولون منعه وإيقافه . وهناك أيضا الذين يؤثرون العمل الانفرادي على العمل الجماعي . وكذلك الذين لا تطيب لهم المغامرة حتى في الأمور البسيطة ، والالتكاليون الذين يتركون للغير أن يعملوا ويفكروا لهم بالنيابة عنهم . كما ان هناك الأفراد الذين تعترضهم المشاكل وتعكر صفوهم ، ومع كل ذلك يقفون منها موقف المتفرج ويتركون للزمن أو للظروف أمر حلها والتغلب عليها ... الى غير ذلك من أنماط متعدد من الناس .

الأفراد ، بل والجماعات في بعض الأحيان ، ونحت ظروف معينة ، روح بدعوها البعض باللامبالاة . بينما يدعوا آخرون بالسلبية . وتحت تأثير هذه الروح ترى الفرد يقف من حوادث مجتمعه ومن الأمور التي تدور في فلك حياته موقف المتفرج أحيانا ، وموقف غير المكترث أو اللامبالي أحيانا أخرى . وقد تصل اللامبالاة أو السلبية في بعض الأفراد الى حد الانعزال التام من المجتمع وما يدور فيه . ان الفرد في هذه الحالة يرى الخطأ من حوله فلا يحاول اصلاحه ، ويرى الفساد يفتت عود مجتمعه فلا يحاول تقويمه ، ويرى الحق مستضعفا فلا يحرك ساكنا لصمرته أو حمايته . انه بدلا من أن يحاول تعديل الظروف اذا انحرفت ، وتقويمها اذا اعوجت ، تراه يستسلم لها ، أو يقف مشدوها حائرا أمامها ، وكأنه في معزل عنها وعن تأثيرها . انه بدلا من أن يبادر الى حل مشاكله وبناء حياته على أسس سليمة ، تراه يترك كل ذلك لحكمة الآخرين وحسن تقديرهم ، أو حتى للظروف لتقول الكلمة النهائية بشأنها .

ولا يخفى ان هذه الروح اذا كتب لها أن تسيطر على حياة الأفراد أو الجماعات في أي مجتمع كان ، فانها ستعمل بكل تأكيد على وقف مظاهر نموه وتطوره . وستساعد على تفككه وانحلانه . نحن لا ننكر ان الفرد قد يضطر تحت وطأة أسباب أو ظروف قاهرة أن يتراجع من معركة الحياة بعض الشيء محاولا استجماع قواه ، وتنظيم نفسه ، والتزود بما تحتاجه هذه المعركة من زاد . ولكننا في الوقت نفسه لا نقر أي واحد على الانسحاب التام من هذه المعركة مهما كانت الأسباب والظروف ، لأن في ذلك دليلاً قاطعاً على الانهزام . وبالتالي على التقلص والاندثار . فعلى المواطن أن يعرف بالضبط حقوقه واجباته نحو نفسه ومجتمعه ، بحيث تقوده هذه المعرفة الى

في طريقهم بالمرة ، وترك لهم حرية التصرف دون تدخل أو إرشاد . ولذلك ترى الطفل يترك شأنه ، يتصرف كما يحلو له . ان هذه الحرية الزائدة وغير الموجهة مفسدة للطفل ، حيث انها لا تولد عنده المعايير الصحيحة للسلوك المقبول وغير المقبول ، وبالتالي فهي تولد له المشاكل الاجتماعية ، خصوصا عندما يبدأ بالتعامل مع الآخرين . ولا يخفى ان هذه التنشئة لا تمكن الطفل من التعرف على حدوده وحدود غيره ، وبذلك تجعله غير واثق من صلاحية قوله وعمله ، الأمر الذي يشجعه على العزلة والابتعاد .

وهناك فئة ثالثة من الآباء يحلو لها معاقبة الأبناء وتقييد حريتهم وفرض سيطرتهم عليهم ، فترى الأب يعاقب ابنه لأنفه الأسباب ، ويتشدد في معاملته دون مبرر ، ويحاسبه على كل صغيرة وكبيرة ، ويلومه على كل عمل يصدر عنه حتى ولو كان هذا العمل مقبولا ولا غبار عليه . وازاء هذا السلوك الأبوي غير المجذب ينشأ الطفل خنوعا مطوعا يعتقد ان من واجبه اطاعة السلطة والامتثال لأوامرها ونواهيها ، وانه لا يصح له انتقادها حتى ولو كانت خاطئة . ولا يخفى أن مثل هذه التنشئة تنمي في الطفل روح السلبية قولا وعملًا .

وهناك فئة رابعة من الآباء لا تطبق أن يوجه لها الأبناء أسئلة واستفسارات حول الأمور التي تشغل بالهم وتدور في فلك حياتهم ، فهم يتهربون من الاجابة أو يمتنعون عنها بطريقة رادعة . انهم بذلك لا يتيحون الفرصة لهؤلاء الأبناء للتدرب على طريقة المناقشة الهادفة والبناءة للأمور المتعلقة بحياتهم . ولا يخفى ان هذا النقص في التنشئة يتولد عنه عدم قدرة الطفل على مناقشة الأمور والقضايا من حوله ، وبالتالي تراه يندفع الى ظلال السلبية والانزعال .

كما ان هناك فئة خامسة من الآباء لا تنتهج نهجا ثابتا معينا في تربية أبنائهم وتنشئتهم ، بل على العكس من ذلك ، فان طريقة معاملتها لهؤلاء الأبناء غالبا ما تتصف بالتقلب والتغير وعدم الثبات . فبينما تراهم تارة يتساهلون مع الأبناء ويمنحونهم كل ما يطلبونه دون حساب ، تراهم تارة أخرى يضنون عليهم بكل شيء دونما سبب يذكر . انهم يأخذون أولادهم بالقسوة والعقاب اذا هم ارتكبوا خطأ معينًا ، ولكنهم في أوقات أخرى يتغاضون عنهم اذا وقع هؤلاء الأبناء ثانية في الخطأ السابق نفسه . وازاء هذا التقلب والتردد في المعاملة ينشأ الطفل حائرا في

علاقاته مع الآخرين ، وغير عارف تماما لما يجب عمله وما لا يجب . وبعبارة أخرى فان الطفل في هذه الحالة ينشأ غير مدرك تماما لنوع السلوك الذي يتقبله الآخرون منه والسلوك الذي لا يتقبلوه . ونتيجة لهذه التنشئة تتولد عند الطفل روح التردد والتقلب ، وتضعف عنده الرغبة في المساهمة بالأعمال التي لها صلة بغيره ، ويقوى عنده الشعور بالعزلة والانفراد ، وهي جميعها ، كما لا يخفى ، من أعراض السلبية واللامبالاة . وأخيرا هناك فئة من الآباء تتصف في معاملتها لأبنائهم بالتحييز وعدم المساواة ، فهي اما أن تفضل بعضهم على بعض ، أو تغدق الامتيازات على هذه المعاملة غير العادلة تولد عند الطفل روح العداة ، وتجعله أنانيا يفكر بمصالحه الخاصة دون المصلحة العامة ، وتسلبه الرغبة في العمل ضمن اطار الجماعة ، وتغرس فيه روح السلبية بمختلف أشكالها وصورها .

المدرسة وروح اللامبالاة

والمكان الآخر الذي يقضي فيه الطفل جزءا كبيرا من حياته الأولى ، والذي يلعب دورا مهما في صقل شخصيته واكسابها طابعها المميز هو المدرسة . غير أن هذا المكان حتى يتاح له القيام بدوره كاملا ازاء اعداد شخصية الطفل اعدادا سليما وبنائها بناء ايجابيا ، ينبغي أن تتوفر فيه نخبة خيرة من المربين الأكفاء ذوي الصفات القيادية والسمات الخلقية ، والموهلين تأهلا أكاديميا حقيقيا لمهنة التربية والتعليم .. كما يجب أن تيسر له المناهج الدراسية الحية والظروف المدرسية البناءة ..

فالمعلم الكفو ، انما هو من يسعى دائما الى الابتعاد عن التسلط والسيطرة في كل ما يربطه بالطلاب ، ويكثر بما يصدر عنهم من قول أو عمل مهما كان نوعه وطبيعته ، ويعمل مخلصا على توجيههم توجيها بناءا ، بدون تحيز في طريقة معاملته لهم ، ويضع نصب عينيه دائما بناء الشخصية الايجابية عند الناشئة وتوطيد أركانها . أما من حيث المناهج التعليمية ، فيجب أن تكون متفقة مع روح العصر ، وأن تكون من النوع الذي يتميز بقوة الصلة بحياة الطالب العامة .. فالمناهج الدراسية اذا ما أريد لها أن تلعب دورا ايجابيا في صقل شخصية الطفل ، وأن تؤدي رسالتها الصحيحة ، وأن تساعد الطفل

في تصريف أمور حياته ، وتجعل منه عضوا فعالا يسهم في بناء المجتمع من حوله وتطويره ، فانه من الضروري أن تعمل على موافاة هذا الطفل بالمعلومات التي ترتبط ارتباطا وثيقا ببيئته ومجتمعته حتى يتسنى له الوقوف عليها والتعرف بها واتخاذ الأحكام الصائبة بشأنها عندما تدعو الحاجة لذلك .

وأخيرا فان الظروف المدرسية العامة ، بما في ذلك النشاطات المختلفة ، قد تعمل على تطوير شخصية الطفل وجعله ايجابيا مقبلا بدلا من كونه سلبيا مبتعدا . فالمدارس ، مثلا، بعملها على اقامة الأنشطة لطلابها تمهد الطريق أمام تنمية هواياتهم وصقل اهتماماتهم وتعويدهم الحياة الجماعية ذات الهدف المشترك . ان المدرسة تستطيع أن تعمل كل ما من شأنه جذب الطلاب وجعلهم يشعرون بالانتماء اليها خارج ساعات الدراسة ، حتى وأثناء هذه الساعات .

لا شك ان كثيرا من المدارس تقوم بأنشطة رياضية وثقافية وترفيهية ، ولكن الاشراف على هذه النشاطات والتخطيط لها قد ينحصر في أيدي ادارة المدرسة ومعلميها بالاشتراك مع نفر بسيط من الطلاب تختارهم ادارة المدرسة لذلك الغرض . وازاء ذلك فان اقبال بقية الطلبة على مثل هذه النشاطات قليل نسبيا ، واذا ما أريد لهذه النشاطات أن تعود بالفائدة المرجوة منها وجب أن يشترك كل الطلاب ، بطريق مباشر أو عن طريق ممثلهم ، في التخطيط لها ، بحيث ينبثق عن ذلك أهداف عامة يلتزم الجميع بالعمل على تحقيقها ، ويشعر كل فرد منهم بالانتماء اليها .

وبالإضافة الى ذلك تحسن ادارة المدرسة صنعا ان هي أفسحت المجال للطلبة أو ممثلهم ليشاركوا في رسم الخطط الخاصة ببعض أوجه حياتهم داخل المدرسة . وتحسن المدرسة فعلا ان هي علمت طلابها طريقة النقد البناء وسمحت لهم بممارسته وعودتهم على الأصول الصحيحة لمثل هذا النوع من النقد . فاذا أحسن توجيههم في هذا المضمار أثناء وجودهم في المدرسة ، أمكن انتقال هذه الروح البناءة الى الحياة خارجها ، وأصبح من السهل عليهم النهوض بمجتمعهم وتطوير الحياة فيه .

وبعد ، فاذا نحن ضمنا تربية بيتية سليمة ، وجوا مدرسيا بناءا ، كان في ذلك خطوة ايجابية نحو خلق جيل متماسك ، له هدف واحد وقلب واحد

معركة الأرك

— لست مرتاحا الى ما يجري في الأندلس ،
يا أبا يحيى .. الملك « ألفنس » يغزوها عائنا في
بساطها ، منيخا على قواعدها الواحدة بعد
الأخرى ، ويتحداني .

قالها الخليفة المغربي يعقوب المنصور لكبير
أمنائه ، والغضب مطل من عينيه ، فقال
أبو يحيى مهتما :

— كيف يتحداك ، يا أمير المؤمنين ؟
قال الخليفة :

— خذ اقرأ هذا الكتاب .
ودفع اليه كتابا قرأ فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من « ألفنس » ملك
قشتالة ، الى الخليفة يعقوب المنصور ، وبعد . ان
كنت عجزت عن الحركة ، وثناقلت عن الوصول
اليها ، فوجه الي المراكب والقوافي أجوز فيها
بجنودي اليك ، لأقاتلك في أعز البلاد عليك ،
فان هزمتني فهدية جاءت الى يدك وكنت ملك
البلدين ، وان هزمتك تخليت لي عن عرشك .
والسلام .

قرأ أبو يحيى هذا واجما . وقد وجد فيه أنكا
أنواع التحدي ، فقال الخليفة :

— ما قولك في ما قرأت ؟
قال أبو يحيى :

— لأمر المؤمنين القول .
قال الخليفة :

— أكتب لألفنس على ظهر كتابه عنه :
« أرجع اليهم .. فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ،
ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون » .

أمر الخليفة بالتعبئة العامة ، وتناقل أهل بلاطه
خبر كتاب ألفنس له ، ورده على كتاب ألفنس ،
فقال أبو عبد الله ، أحد كبار معاونيه وقواده ،
لأبي يحيى :

— سيقا تل الخليفة اذن ألفنس .
قال أبو يحيى :

— وما ترى في ذلك ؟

— كان عليه أن لا ينتظر تحدي ملك الأسبان
ليعب البحر اليه .. لنا في الأندلس ملك بالمهج
الغوالي بنيناه ، لا لعب من أراد العبث له ، ولا
ليقفز من فوقه عدو لقتالنا في عقر دارنا .

— ما أراد الخليفة أن يكون البادىء بالعدوان ،
وأنت تعلم ميله الى تسوية الأمور بالحسن ، ولذا
أبى أن يقاتل ألفنس قبل أن يرى منه ما يحمله
على قتاله .

— أرجو أن لا يتراجع الآن .

قال أبو يحيى :

— أن لا يتراجع .. أنت تقول هذا ، يا أبا
عبد الله ؟

قال أبو عبد الله ضاحكا :

— لم تفهم قولي . لقد تعود أعداؤنا أن يستغلوا
تسامحنا ، كلما وجدوا أنفسهم ضعفاء أمامنا ،
فاذا بدا جانب ضعف منا تجبروا . أما تخشى
مثلي أن يتسامح الخليفة ، اذا وجد ألفنس نفسه
عاجزا عن منازلتنا ، وطلب التسامح ؟

— يكون الخليفة غير عربي ، ان لم يلب طلبه .
— لماذا ؟

— لأن منازلة الضعيف العاجز نكر ، فضلا عن
كونها لا تكسب القوي شرفا ، والعربي الأصيل
من ينهأ أباه وكرمه عنها .

قال أبو عبد الله : « في الأندلس ملك بالمهج
الغوالي بنيناه » وصدق بقوله .

فأي ملك بنى العرب هناك .. جنة جعلوا من
أرضهم ، ومنارا رفعوا من ثقافتهم ، وبعقريتهم
مهدوا لخصاصة أحدها الغرب عنهم ، وعثا حاول
المحاولون انكارها عليهم وأقلام القيمين الأمناء
على التاريخ ، الى جانب ما تركوا من آثار هناك .
نشهد .

وغاليا كلهم ذلك ،

ثمانية قرون من نضال ، والنضال يتطلب
تضحيات ، والتضحيات الأرواح التي استشهدت
في حومات الوغى بعضها .

وقرطبة كانت إحدى جواهر العقد الأندلسي ،
لا بل جوهرة الأولى ، والحرب التي أعلنها الملك
الأسباني ألفنس تهددها ، وبئها يتأهبون لمنازلته ،
فيما لو تمكن من اجتياز العقبات التي تحول
دون وصوله اليها .

وقائد فرسانها كان العباس . نفخ في بوق
الجهاد ، فاذا فرسانه حوله ، وكلهم حماسة
وغيرة ، بانتظار الجولة .

وابنته فاطمة الى جانبه ، تتأهب بدورها لأداء
الواجب ، وتسال الله بحرارة أن ينقذ مدينتها .
ورأها على شيء من الاضطراب ، فقال لها :

— على رسلك ، يا بنية .. أنتشاءمين وأنت ابنة
قائد ، وسليقة قواد تعودوا خوض غمرات الوغى ،
والعود منتصرين منها ؟

قالت : ما تعودت التشاؤم ، ولا أنا بمتشائمة ،
ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

بقلم الامام عبد الله ميمية

— أما ترى جيوش ألفنس زاحفة علينا ، وحيشما حلت حل بأبناء قومنا ذلك ؟
قال متحمسا :

— لن تصل جيوش ألفنس إلينا ، ولن تدخل مدينتنا الغالية قرطبة ، وفي مدينتنا هذه رجل يحمل السيف .

قالت متحمسة بدورها :

— وفيها امرأة تعرف كيف تقاتل بالأسنان والأظافر ، ان يكن القتال بالسيف فوق قدرتها .

قال ضاحكا :

— لن تحتاج المرأة القرطبية الى خوض غمار الوغى يا ابنة العباس ، وسترين جيوش ألفنس تتلاشى كالهباء تحت وطأة جيوشنا الجرارة .

قالت دهشة :

— « جيوشنا الجرارة » .. يقولها العباس والذي وكأنه مطمئن الى واقع .

— لقد اجتاز الخليفة المنصور البحر . بقوات لا عداد لها ، وهو في طريقه إلينا .

قالت مستبشرة :

— الخليفة المنصور ، حياه الله ... وكيف عرفت بقدومه ؟

قال : لقد بعث يدعو أمراء الأندلس للانضمام اليه ، والجيوش الأندلسية تتحرك في كل مكان تلبية لدعوته . ولخوض معركة فاصلة لا يبقى بعدها أمام ألفنس الا احترام حقنا ، ومراعاة حرمة الجوار .

— وهنا يكون التجمع ؟

— كان الخليفة يرمي في زحفه الى ما وراء طليطلة عاصمة القشتاليين ، واذ علم ان ألفنس حشد جيوشه بين مدينتنا وقلعة رباح غير خطته ، وتوجه الى هنا لمنازلته ، وسيكون بعد يومين بيننا .

— نصر الله جيوشنا .. انني أخشى أن يكون الثمن باهظا .

قال : على قدر الثمن يكون المجد .. وما تعود العربي ، اذ يدعى الى اضافة مجد الى مجده ، أن يبالي بالبدل كثر أم قل .

...

في غليان غدت قرطبة ... كل من فيها يريد القتال ، يريد الاسهام في احراز النصر وجماهيرها تتظاهر هائفة :

— الى الحرب .

— الى انتزاع النصر والمجد .

— قرطبة في الطليعة .

والعباس يخاطب الجماهير قائلا :

— يا أبناء قرطبة ، يا بناء مجد الأندلس

وحماته . ألفنس القشتالي على أبواب مدينتكم ، فمن منكم لا يحمل السيف ؟
والجماهير ترد عاليا :

— لا أحد .

— كلنا سيوف مسلولة .

— لن يبقى غير النساء في البيوت .

ويدوي صوت فاطمة :

— ما أنصفت ، يا هذا .. المرأة القرطبية ، سترها الى جانبك في المعركة ، لتضمد جراحك وتواسيك ، ان لم تكن لها قوة ساعدك للضرب بالسيف .

وتعالى الأصوات ، أصوات الجماهير التي بلغت حماستها الذروة . صائحة :

— لقرطبة الفخر بيناتها .

— لا تقنحم عريئة دونها أسود ولبوات .

...

قطع الخليفة المنصور البحر ، وتدققت جيوشه الجرارة على البر الأندلسي ، وبين قرطبة وقلعة رباح تجمعت ، بانتظار الساعة التي ستلتقي فيها جيوش ألفنس .

وجيوش ألفنس ترحف وتتجمع بدورها ..

وسأل الخليفة عن عددها ، ف قيل له :

— لا يعرف بالتدقيق ، وفي زعم البعض أنه لا يقل عن الثلاثمائة ألف .

قال ضاحكا :

— في هذا مبالغة ، ومع ذلك فلا بأس ، وعدد جيوشنا لا يقل ، في أي حال ، عن عددها .

وقال لأبي يحيى :

— هل تم تجمع الجيوش الأندلسية التي لبى أمراؤها وقوادها دعوتنا ؟

قال أبو يحيى :

— أجل يا أمير المؤمنين .

— وبأي روح تجمعت هذه الجيوش ؟

— بالروح الاسلامية العالية التي تعودت التجمع بها في أوقات الشدة .

— وفرسان قرطبة ؟

قال أبو يحيى معجبا :

— لله درهم .. يزحفون وقائدهم في الطليعة ثقالا ، فاذا أطلقوا لجيادهم الأعنة ، جرت تحتهم خفافا الى النقع ، وهم على صهواتها كالنور اذ تنقص ، وأجنحتها تصفق للظفر بالفريسة .

قال الخليفة ضاحكا :

— أرى أن لقرطبة وفرسانها مكانة خاصة عندك ، يا أبا يحيى .

قال أبو يحيى :

— لدرة الأندلس الحق بأن تكون لها مكانتها عند كل عربي .

— ومن قائد فرسانها ؟

— العباس بن زيد ، صاحب السيف الذي لا ينو ، والساعد التي لا تكل . في ميادين الطعن والضرب .

— وعدد فرسانه ؟

— نسأله ، فيجيب : ليس لفرساني عدد ، وسيكونون في الميدان أني قضى الواجب أن يكونوا .

وحيشما انقضوا كانوا كالصواعق تنقض ولا ترقد .

قال الخليفة مرتاحا :

— سأرى العباس بن زيد .

قال أبو يحيى :

— وابنته ، يا أمير المؤمنين .

قال الخليفة دهشا :

— وابنته ... ما شأن ابنته ؟

قال أبو يحيى :

— أبت المرأة القرطبية الا أن يكون لها شأنها في المعركة التي سنشعب ، فاذا هي الى جانب الرجل لخوض هذه المعركة ، وستخوضها تحت رايتك لا تبالي بالموت اسهاما في انتزاع النصر .

— وتحارب بنت العباس ؟

— تؤدي ورفيقات لها واجبا ، هو في نظرها وفي الواقع يوازي واجب الطعن والضرب .

— أفهم .. تلتقط الجرحى من الميدان وتسعفهم موسية .. واسم بنت العباس ،

— فاطمة .

قال الخليفة متأثرا :

— لفاطمة ولراية الخلافة في الجيش حرمة واحدة ، لا تتزع احداهما منكم وفيكم ساعد يضرب بالسيف .

وسكت لحظة ، ثم قال :

— والآن توزع المسؤوليات على من يتحملها ، وعلى ضوء الخطة المرسومة للقتال ، فما رأيك يا أبا عبد الله ؟

قال أبو عبد الله :

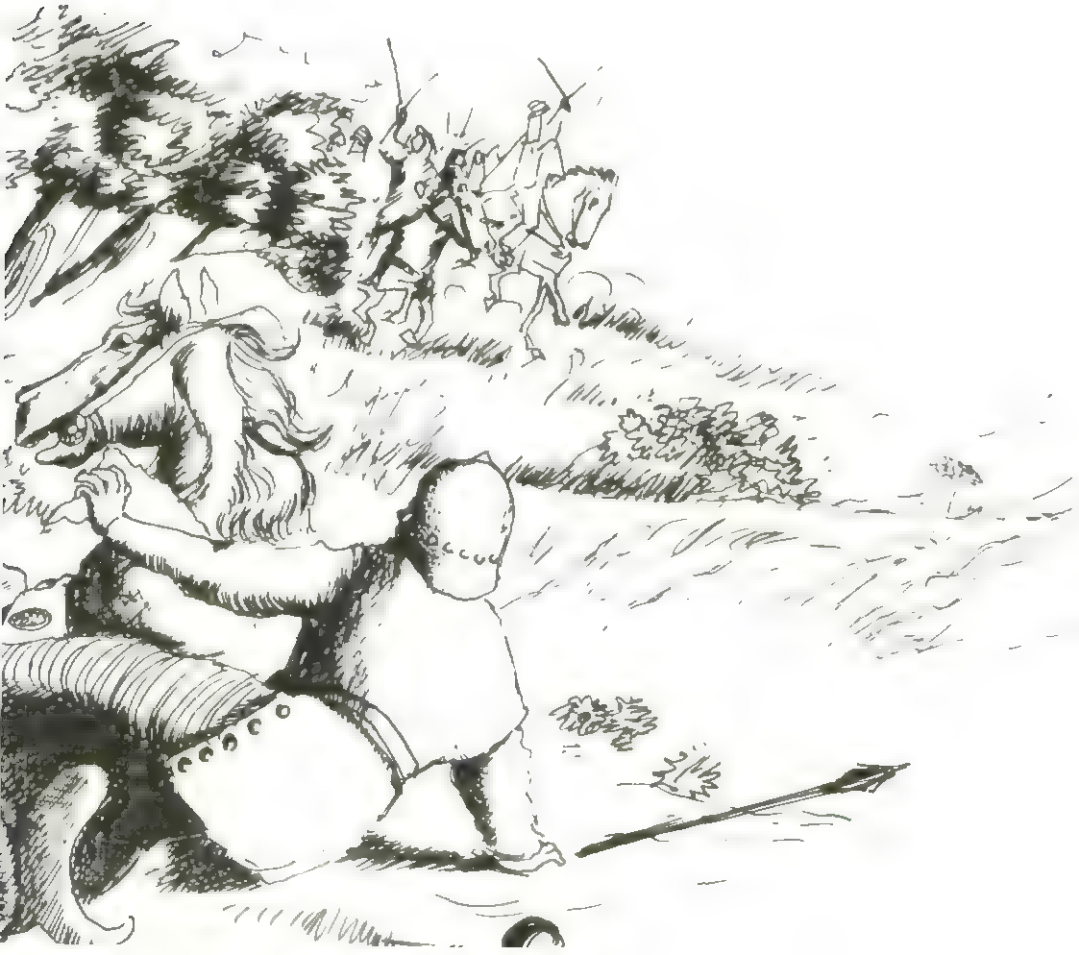
— توحد قيادتنا أولا يا أمير المؤمنين ، ولكم بعد أن تختاروا لها القائد الذي انتم أدرى من سواكم بأهليته .

قال الخليفة :

— أبا يحيى أختار .

— ونعم اختياركم .. وليكن على الأندلسيين القائد الذي يعرف عاداتهم ، ولا يجهل مذهبهم في ميادين الكر والفر .

- ما لهذا سواك ، يا أبا عبد الله .
 — وإن أخيب ظن أمير المؤمنين بي .
 — بعد القيادة ؟
 — تقدم الجيوش النظامية لمجابهة العدو ، وتبقى القوات غير النظامية على قدم الأهبة احتياطاً ، وينزل أمير المؤمنين بحرسه الأبيض والأسود وراء التلال ، فإذا تنازع الفريقان غار النصر فجاً العدو بهجوم صاعق يقضي ويجهز عليه .
 قال الخليفة موافقاً :
 — باسم الله نفعل ، وسيرى ألفنس من منا نحن الاثنين سيتنازل للآخر عن عرشه .
 . . .
 أقلق التجمع العربي ألفنس ، وعاد غير من يتوقع لجيوشه النصر بسهولة ، وتوقف بانتظار المدد الذي كان يرجوه من أنسابه وحلفائه ، وفي مقدمتهم ملكا «لاون» و «الفافار» . قال لكبير قواده :
 — ما أخبار نسيبي ملكي «لاون» و «الفافار» يا للزريق .. أما ترى أنهما أبطأ في البر بالوعد ؟ قال للزريق :
 — آخر أخبارهما أنهما قادمان على رأس جيشين قويين لنجدتنا ، فإذا كان هذا فمما لا شك فيه أنهما سيصلان .
- بعد فوات الأوان .
 قالها ألفنس بلهجة من لا أمل له بعد ، وتابع :
 — لقد تمكنت الأحقاد منهما ، ولا حيلة في إصلاح ذات بينهما على ما يبدو ، وبات علينا أن نعتمد على أنفسنا في القتال .
 قال للزريق :
 — على أنفسنا نعتمد ، ولدينا من القوات ما يكفي ، يا مولاي .
 — للمنصور أكثر مما لنا منها .
 — أتصدق ما أتاك من عدد قواته ؟
 — كنت أحسب أن بعض أمراء الأندلس سيتخلون عنه ، سيقضون بيني وبينه محايدين على الأقل ، فإذا الأمر غير ما حسبت .
 — قد يختلف العرب فيما بينهم ، على شؤون تعنيهم دون سواهم ، إلا أنهم لا يترددون في الوقوف كتلة واحدة ، أمام أي خطر يهددهم من الخارج .
 — على كل تحدينا المنصور ، فخف الى قتالنا بكل ما لديه من قوة ، وعزتنا تقضي بأن لا نتردد في منازلته .
 — وترون أن نتحصن بقلاعتنا ؟
 — إذا فعلنا ضرب علينا الحصار ، وحق له الاستخفاف بنا ، ونحن من خيرناه بين المجيء
- الينا وذهابنا اليه ، واختار المجيء فمن العار اذن أن نخشيء من وجهه .
 — ليكن ما ترون .
 — نخوض وياها معركة فاصلة .. للسلاح العربي مضاهؤه أجل ، ولكنه ليس أمضى من السلاح الأسباني .
 — ومكان المعركة ؟
 — الأرك .. هناك قلاعنا وحصوننا ، وهناك فرسان قلعة رباح ، وهم وغيرهم من الفرسان في مقدمة من نعتمد عليهم .
 — ومتى نبدأ القتال ؟
 — ليس من مصلحتنا الإبطاء .. وعليه أرى أن نقيم على أهبة ، وأن تكون لنا المبادرة في الهجوم ، وطالما كانت المباغتة خير مساعد على احراز النصر .
 . . .
 ليس من يجهل فضل العرب على تطوير علم الطب ، ونقل ما نقلوا من مبادئه وأصوله وفروعه ، من عالمهم الشرقي الى عالم الغرب .
 والتمريض في جملة فروعه .
 وفي معركة الأرك برز هذا الفرع ، فإذا هو من معطيات الانسانية ، بل من أنقى وأسمى معطياتها التي لا تميز فيها بين انسان وانسان ،



بين عدو وصديق ، عندما يكون القصد منها اعانة المصايين وتخفيف الآلام .

قال العباس لابنته فاطمة ، بينا الاستعداد للقتال قائم على قدم وساق :

— هل أنت ومتطوعاتك على أهبة ؟

قالت فاطمة :

— على أتم الأهبة ، يا أبي .

— وكل شيء متوافر لديكن : الأدوية ، والضمادات ، والمنعشات ، على أنواعها ؟

— كل شيء متوافر لدينا منها .

— وتدريب رفيقاتك على استعمالها ؟

— يسير أحسن سير .

قال العباس مزهوا :

— الآن عرفت يا ابنتي ما كانت غابتك من

اتقان فن التمريض ، وأنا فخور برويتك تضعين

علمك ونفسك في خدمة المصايين من بني قومهك ،

ولي بعد اليك سؤال .

قالت : اسأل يا أبي .

قال : اذا مررت بجريح من الأعداء في ساحة

القتال ، واستغاث هذا الجريح بك ، فهل تليين

نداء استغاثته ؟

قالت فاطمة ضاحكة :

— تسألني ذلك ، وكأنك غير العربي الذي

يغيث الضعيف والمصاب والعاجز ، وإن كان عدوا .. أترضى أن لا أغيث جريحا ، أيا كان

من الناس ، يا أبي ؟

قال : كلا ، يا ابنتي .

فقالت : وليس لي ، وأنا ابتك ، أن أرضى

ما لا ترضاه .

وكان الخليفة يتفقد وحدات مقاتليه ، قبل أن

يدفع بهذه الوحدات الى المعركة ، وانتهى الى

حيث كان الأب والابنة ، فقال للعباس :

— وفرسان العباس ، أعلى أهبة هم ؟

قال العباس :

— فرسان قرطبة على أهبة لانتزاع النصر ..

لعر الخلافة ، وحفاظا على التراث الغالي الذي

اثنموا عليه .

قال الخليفة مرتاحا :

— ونعم التراث .. وابتك يا ابن زيد ، أعلى

استعداد هي ؟

— بين يديك ابنتي ، فاسألها .

— فاطمة ! .. أهذه ابتك فاطمة ؟

قالت فاطمة بجرأة :

— أنا هي ، يا أمير المؤمنين .. وقد لا أكون

في مستوى يوهلني للقيام بواجبي ، ومع ذلك

فاني على أتم الاستعداد لأداء هذا الواجب .

— وتحسين أنت فن اسعاف الجرحى وتخفيف

آلامهم ؟

— بقدر ما تلقيت من أصول هذا الفن .

— وعلى من تلقيت أصوله ؟

— على النخبة من أساطين علم الطب ، وهم

كثروا في قرطبة .

— وهم شهرتهم . وبعد يا فاطمة ، أما ترين

في خوض غمرات القتال ، وإن يكن لاسعاف

المصايين ، خطرا عليك ؟

— لست خيرا منك ومن والدي يا أمير المؤمنين

لأخشي الأخطار .



— وإذا تعرضت لخطر ، كأن يتجاهل أحد الأعداء مهمتك الانسانية ، ويشهر سلاحه عليك ، أما تدافعين عن نفسك ؟

— والذي يعلم أنني أحسن الدفاع عن النفس .

— وإذا رأيت خطرا يهدد والدك ، أو يهددني أنا الخليفة مثلا ، وكنت في وضع يساعدك على دفع هذا الخطر ، فهل تفعلين ؟

— أدفع الخطر اذا استطعت ، لا عن الخليفة والوالدي فحسب ، بل عن آخر جندي من جنودنا ، ولو بذلت في سبيله حياتي .

— بورك فيك ، يا فاطمة .

قالها الخليفة مرتاحا الى الروح العالية التي أوحى بها لفئة تآبى الا أن تجاري الرجال في أداء الواجب ، والتفت بعدها الى العباس المزهو بابنته ، وقال له :

— ان من كانت له ابنة كابنتك يا ابن زيد من حقه أن يفاخر بها ويزهو .

وتابع قائلا للحاضرين :

— ان المعركة بيننا وبين ألفنس ستشب الليلة أو غدا ، ومن كان إيمانه بالله ، وبصدق الدعوة التي من أجلها نجاهد ، لا يخذله الله .

من معارك الأندلس الكبرى كانت معركة الأرك .. في تموز ١١٦٥ وقعت بين العرب المسلمين والاسبان ، وخاضتها جيوش من الفريقين جرارة ، وللجيوش الاسلامية كتب فيها النصر .

قال أبو يحيى ، وقد ولتي القيادة العامة ، منظما قواته استعدادا لتلك المعركة :

— الموحدون النظاميون في القلب ، والأندلسيون في الميمنة ، والقبائل في الميسرة ، والخليفة بحرسه وراء التلال .

وتوجه الى من حواليه من أركان حربه وقواده بقوله :

— دنت الساعة .. قبل أن يهاجمنا الاسبان نهاجمهم . تتقدم المتطوعة من التل الذي عليه ألفنس ، وتمهد للقتال بنباهم يساندها القلب والجناح الأيسر ، ولا يتحرك الجناح الأيمن الا متى تلقى الأمر بالتحرك ، وللخليفة وحرسه المختار شرف اطلاق الضربة الأخيرة القاضية .

وبلهجة القائد الأمر :

— أيها القواد .. كل منكم في مكانه ، وانتظروا اشارة التحرك ، وعلى حسن قيادتكم ، وتقديركم المسؤولية الملقاة عليكم ، يتوقف النصر .

أعلنت الأبواق والطبول بدء المعركة ، وتعالى هتاف العرب مدويا :

— الله أكبر .

وتدافعت جمافلهم بحسب الخطة المرسومة ، وكل من أفرادها يشعر بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، بعد أن قال قواده : الموت ، أو النصر .

والى المعركة اندفعت فاطمة ، على رأس رفيقاتها المتطوعات ، بعد أن قالت لمن :

— لنكن على أهبة .. كل صرخة ألم تتصاعد من الميدان نداء نلبيه ، لا خوف يثينا عن الاقدام ولا التضحية .

وبصوت ملؤه العزم والایمان :

— الى الأمام يا بنات قرطبة .. اليوم يومكن لأداء واجب أقل ما يتوقف عليه انقاذ المئات والآلاف من آبائكن وأخوتكن المجاهدين في سبيل الله .

المعركة في أشدها ، والخليفة يرافق سيرها عن كتب :

الجيوش من الجانبين تتدافع وتتلاحم ، والقشتاليون يتراجعون ، أمام كرات الفرسان المسلمين العرب الشوس .

وتزداد المعركة احتداما :

يعيد القشتاليون الكرة ، فيتداعى الجناح العربي الأيسر ، ويتغولون فيه .

ويساور الخليفة القلق :

القلب العربي يتصدع .. يحاول القشتاليون شطره نصفين ، والجثث من الجانبين تراكم .

ويصل أحد الضباط العرب لاهثا ، ويقول للخليفة :

— القائد العام ، يا أمير المؤمنين .

وبلهفة يقول للخليفة :

— أبو يحيى .. ما دهاه ؟

قال الضابط :

— سقط في ساحة الشرف .

قال الخليفة متفصضا :

— رحمة الله عليه .. ليتولى أبو عبد الله القيادة .

المعركة في ذروتها ، وفاطمة تخوض ورفيقاتها غمارها ، مليئة نداء الواجب ، وتصيح من خلال ذلك بالمحاربين :

— يا أبطال الاسلام .. الأرض التي ارتوت من دمكم لا يجتاحها العدو .. اطرده منها ، أو نبقي نحن بناتكم فيها ، ليأخذنا جنود ألفنس سبايا .

أبو عبد الله ، وقد تولي القيادة العامة ، يصيح بجنوده :

— الجناح الأيمن .. الى قلب المعركة ، الى ساحة الجدد ، الى النصر .

ويندفع الجناح الأيمن هاتفا :

— الله أكبر .

والخليفة ينظر .. ويتعالى هتافه ، بين أركان حربه ، مستبشرا :

— جناحنا الأيمن يخترق قلب القشتاليين .. النصر يراوح بين الجانبين .. لك الكلمة الفصل ، يا حرس الخلافة .

ويندفع الحرس ...

انتهت المعركة بانتصار الجيوش الاسلامية ، بعد أن مزقت هذه الجيوش جمافل القشتاليين شر ممزق ، ودوت هتافات المنتصرين :

— الله أكبر .

خذل العدو ، وتم لنا النصر .

قال الخليفة :

— وحسن الأرك ؟

قبل : سقط .

قال : وقلة رباح ؟

— استسلمت .

— والمملك ألفنس ؟

— لا بالهرب .

قال ضاحكا :

— ما أردنا له ذلك .. لقد قاتل ببطولة ، ونحن نقدر الأبطال ، ولو وجدت سبيلا اليه لصافحته .

قال أبو عبدالله :

— سيعث غدا من يسألك الهدنة .

قال الخليفة :

— اذا فعل هادته .

— وينسى أمير المؤمنين قوله في كتابه ؟

— وما قوله ؟

— اذا هزمتني كنت ملك البلد .

قال الخليفة :

— أكل ما يكتب على الورق جد ، يا أبا عبد الله ؟

قال أبو عبد الله :

— وما الجد ، يا أمير المؤمنين ؟

قال الخليفة رصينا :

— الجد ما رأيت وقرى ، يا أبا عبد الله .. نقاتل اذ ندعى للقتال . ونسامح اذ يسأل عدونا السماح ، ونحن في الحالين مسلمون عرب ■

أزمة البيئة الطبيعية

بقلم الدكتور فؤاد صروف

«الخلباب» . ومن الحيوانات أصناف سامة كقنديل البحر ، وعقرب البحر ، والزناجير ، والعقارب والأفاعي الناقعة السم . وقد ظل الانسان نفسه زمنا يطارد الحيوان بسهام مسمومة . بيد أنه لم يعمد الى صنع مركبات يكافح بها الأحياء المؤذية الا في عصر متأخر من تاريخه . وكان قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها الى الثانية ، يصنع مبيدات للحشرات من مواد غير عضوية . تحتوي بعض المعادن أو المواد النباتية ، فتوافرت بين يديه مركبات من الزرنيخ أو النحاس أو الرصاص أو الزنك ، وغيرها ، ومادة «البايثروم» (١) من زهر الأقحوان ، وكبريتات التيكوتين ، من النباتات التبغية أو الطباقية ، و «الروتينون» من بعض النباتات البقلية في جزائر الهند الشرقية .

أن مبيدات الحشرات التي صنعت خلال الحرب العالمية الثانية ، تختلف عن مبيدات الحشرات غير العضوية في شدة أثرها الحياتي ، فهي لا تسم وحسب ، ولكنها تسرب الى ثنايا المادة الحية ذاتها ، وتؤثر في الأفعال الحيوية ، على وجوه خبيثة فتاكة . فمنها مثلا ما يدمر الخمائر (الأنزيمات) التي تصون الجسم من الأذى ، أو يحول بين بعض الأعضاء وبين قيامها بوظائفها الطبيعية ، أو يستحدث في بعض الخلايا التحولات الأولى التي قد تفضي الى الأورام الخبيثة .

وقد نشأت هذه المبيدات المركبة بالتأليف الكيميائي ، من قدرة الكيميائيين ، المعاصرين على اقتحام الجزئيات ، وبخاصة الجزئيات الكربونية وتعديل بنيان الذرات فيها ، أو بادخال ذرات على تركيبها لتحل محل ذرات أخرى ، فصار في وسعهم أن يصنعوا مثاث أو ألوقا من المواد الكيميائية

تأثيرا متفاقما ، في هواء الغلاف ومائه ، وتربته وأحيائه ، حتى اذا ما استفحل واستشرى ، غدت الأرض ، وهي مئوى الانسان في الكون ، عاجزة عن توفير جميع مقومات الحياة عليها على الوجه الأكمل . فلأول مرة في التاريخ ، أصبح كل انسان ، بل كل جسم حي عرضة للتأثر بمواد كيميائية خطيرة ، منذ التخلّق في رحم الأم حتى الرمس . ففي خلال عقدين أو ثلاثة عقود من السنين ، بلغت هذه المواد من الانتشار مبلغا عظيما في العالم الحي ، وغير الحي ، حتى لتكاد تجد مقادير متفاوتة منها في كل مكان : في الأنهر العظيمة والجداول والمياه الجوفية ، وفي التربة التي تستعمل فيها أو تسرب اليها خلال سنوات . وقد دخلت أجسام السمك والطير والزواحف ، والحيوانات الأليفة والبرية على السواء . ويقول العلماء الذين يتفكرون على هذا الضرب من الدراسات والتجارب ، انه يندر أن يجدوا حيوانا لم تسرب الى جسمه احدى هذه المواد : السمك في البحيرات الجبلية العالية ، والخراطين «دود الأرض» في جوف الثرى ، وبيض الطير ، ولبن الأم المرضع ، وبما أنسجة الجنين . وكل هذا مرده ، في المقام الأول ، الى الازدياد العظيم في صنع مواد كيميائية تنصف بالقدرة على ابادة الحشرات ، ولكنه ليس مقصورا عليها . بين الأحياء على الأرض ، نباتات وحيوانات قادرة على تركيب مواد سامة في أجسامها والاستعانة بها في كفاح المنافس والعدو ، دفاعا أو هجوما . فمن الأعشاب ما يفرز من جذوره سموما تقتك بأعشاب تنازعها البقاء . ومن النباتات المعترشة نوع سام تعرفه السيدات المعنيتات بحدائق الزينة ، يعرف باللبلاب السام «المورد» ، وقد ذكره الدكتور «حتي» في «المعجم الطبي» باسم

تأثيرا متفاقما ، في هواء الغلاف ومائه ، وتربته وأحيائه ، حتى اذا ما استفحل واستشرى ، غدت الأرض ، وهي مئوى الانسان في الكون ، عاجزة عن توفير جميع مقومات الحياة عليها على الوجه الأكمل . فلأول مرة في التاريخ ، أصبح كل انسان ، بل كل جسم حي عرضة للتأثر بمواد كيميائية خطيرة ، منذ التخلّق في رحم الأم حتى الرمس . ففي خلال عقدين أو ثلاثة عقود من السنين ، بلغت هذه المواد من الانتشار مبلغا عظيما في العالم الحي ، وغير الحي ، حتى لتكاد تجد مقادير متفاوتة منها في كل مكان : في الأنهر العظيمة والجداول والمياه الجوفية ، وفي التربة التي تستعمل فيها أو تسرب اليها خلال سنوات . وقد دخلت أجسام السمك والطير والزواحف ، والحيوانات الأليفة والبرية على السواء . ويقول العلماء الذين يتفكرون على هذا الضرب من الدراسات والتجارب ، انه يندر أن يجدوا حيوانا لم تسرب الى جسمه احدى هذه المواد : السمك في البحيرات الجبلية العالية ، والخراطين «دود الأرض» في جوف الثرى ، وبيض الطير ، ولبن الأم المرضع ، وبما أنسجة الجنين . وكل هذا مرده ، في المقام الأول ، الى الازدياد العظيم في صنع مواد كيميائية تنصف بالقدرة على ابادة الحشرات ، ولكنه ليس مقصورا عليها . بين الأحياء على الأرض ، نباتات وحيوانات قادرة على تركيب مواد سامة في أجسامها والاستعانة بها في كفاح المنافس والعدو ، دفاعا أو هجوما . فمن الأعشاب ما يفرز من جذوره سموما تقتك بأعشاب تنازعها البقاء . ومن النباتات المعترشة نوع سام تعرفه السيدات المعنيتات بحدائق الزينة ، يعرف باللبلاب السام «المورد» ، وقد ذكره الدكتور «حتي» في «المعجم الطبي» باسم

(١) «عود القرح» كما جاء في معجم حتي .

المركبة الجديدة ، ومنها هذه المبيدات ، التي يطلقون عليها تعبير « مبيدات الآفات - Pesticides » أو مبيدات الحشرات - « Insecticides » وأخرى على شاكلتها ، تستعمل لآبادة الأعشاب الضارة التي تؤذي المحاصيل الزراعية ، لأنها تنافسها على الماء والضوء والمواد المغذية ، وتؤذي الحشرات وعوامل الأمراض .

هذه المبيدات الفعالة جماعتان كبيرتان من المواد الكيميائية . احدهما تمثلها مادة « د. د. ت » ويسمونها « الهيدروكربونات الكلورينية » أو « المكلورة » (٢) .

والجماعة الثانية مواد فصفورية عضوية . ووجه الشبه الأساسي بين الجماعتين ، ان ذرات الكربون تدخل في بنيتهما ، ومن هنا وصفت بأنها مواد « عضوية » . وسنقتصر هنا على وصف فيه شيء من الاسباب لمادة « د. د. ت » . التي صنعها أولا بالتركيب الكيميائي ، عالم ألماني عام ١٨٧٣ . وفي عام ١٩٣٩ ، كشف عالم سويسري ، يدعى « بول مولر » خصائصها في اباداة الحشرات ، فعند ذلك ظفرا كبيرا ، ومنح جائزة نوبل للطب ووظائف الأعضاء عام ١٩٤٨ .

ثبت منذ التجارب الأولى التي أجريت عليها ، ان لها طاقة لم تعد من قبل ، في الحرب الدائرة بين البشر والحشرات الناقلة لعوامل الأمراض الفتاكة ، كالتيفوس ، والتهاب المخ السحائي ، وبخاصة البرداء (المالاريا) المنتشرة انتشارا واسعا . وقد أفضى أثرها القوي في كفاح البعوض الى انقاذ ملايين من الناس من الاصابة بما ينتهي بهم الى الموت أو الى ضعف منهك . وثبت ان لها قدرة أيضا على انقاذ محاصيل زراعية ثمينة ، فتضاعف نتيجة استعمالها ، محصول القطن الأمريكي ، لأنها حدثت من شرّة حشرة « البلب ولفل » آفة شجيرات القطن .

ولكن يبدو الآن ان مادة « د. د. ت » . تظل محتفظة بفعالها القاتل زمنا بعد السنين ، بعد أن تفرغ من اباداة الحشرات التي استعملت أولا لآبادتها ، فتتسرب مع الماء من الحقول الى الجداول والأنهار والمياه الجوفية ، أو تستقر على ورق الشجر الذي رش بها ، أو تبقى معلقة في الهواء ، ملوثة كل ما تصل اليه . ومن العلماء من يقدر أن ثلثي ما صنع ورش من هذه المادة لا يزال هنا أو هناك . فقد وجدت مادة « د. د. ت » . في كل حي من الأحياء المائية ، وفي كل حيوان تقريبا ، حتى طائر البطريق ، في القارة المتجمدة الجنوبية ،

فقد وصلته بفعل السلسلة الغذائية ، من أماكن بعيدة ، اذ ليست ثمة حاجة في تلك القارة الى استعمالها . وقد عمد عدد من حكومات الولايات الأمريكية ، الى فرض حظر دقيق على استعمال « د. د. ت » (٣) وجازتها حكومات أوربية ، فحظرت حكومة السويد حظرا باتا بيع مادة « د. د. ت » . وشقيقاتها خلال ستين ، عندما ثبت لها بالبحث والرقابة وجودها في سمك الرنكة (هرنغ - herring) ، وتابعتها حكومتا الدانمارك وهولنده . وفرضت حكومتا بريطانيا وفرنسا رقابة دقيقة على استعمالها داخل حدودها ، وقيدت حكومة ألمانيا الفدرالية المقدار المعروض منها للبيع بمئة واثنين وتسعين (١٩٢) طنا وحسب في العام ، في طول بلادها وعرضها .

وليس تطهير مقومات البيئة من آثارها بالعمل الميسر ، وان كان مستطاعا . ذلك بأنها مادة تتصف بصفتين : استدامة أثرها زمنا ، وسهولة انتقالها ، فهي كشقيقاتها من مواد « الهيدروكربونات المكلورة » لا تذوب في الماء ، فتتجمع في الأنهر والبحيرات والبحار ، خلال سنوات بعد تلويثها الأول لها . ويقدر نصف حياتها (أي المدة التي تنقضي حتى يهبط تأثيرها الى نصفه) بعشر سنوات الى خمس عشرة سنة . ومع انها لا تذوب في الماء ، فانها تذوب في الأدهان والشحوم ، ويظرد تراكمها وتركز مقاديرها بتوالي حلقات السلسلة الغذائية فهي تنتقل من حيوان صغير الى حيوان أكبر يأكل الصغير حلقة بعد حلقة الى آخر السلسلة . وقد وصفت سلسلة منها ، فاذا المقدار في ماء قريب من مستنقع قد بدأ قليلا جدا (٠,٠٠٠٠٠٣) على مليون) وانتهى بعد أربع مراحل أو خمس من الحيويونات فالأسماك الى تركيز في أجسام ضرب من الطير ، يبلغ ٢٥ على مليون . فاذا زاد التركيز ، بين أول السلسلة الغذائية وآخرها ، عشرة ملايين ضعف .

المادة تأثير في الانجاب والتناسل . وهذه فالحسمك البالغ قادر أن يحتفل مقدارا عاليا نسبيا منها ، دون أن يصاب بأذى ، ولكن السمك الجنين ، يموت من فوره عند امتصاصها من خلال غشاء كيس الصفار . أما في الطيور فانها تحدث خللا في تكوين بيض الأنثى وطرحه ، ويظن (لم يجزل البحث بعد هذا الأثر) أنها تؤثر في كبد الطير ، فتدفعها الى نوع من السعار في توليد الخمائر (الأنزيمات) فتحلل محل مواد أخرى لها شأن في خفض تمثيل الكليسيوم .

وبنقص الكالسيوم تغدو قشرة البيضة رقيقة قريية العطب ، فتعجز عن حماية الجنين داخل البيضة . وإلى ذلك يرد أحد العلماء الأميركيين ما تبدى لهم من نقص العقاب الرخماء وطيور كبار أخرى .

والإضافة الى ما يحل بالسمك والطير ، ثمة الخطر الذي يهدد النظام البيئي برمته . ذلك بأن « البلاكتون النباتي - phytoplankton هو مدار فعل التركيب الضوئي في البحار ، كما يفعل الورق الأخضر على اليابسة ، وهذا الفعل له نتيجتان ، تكوين المواد الغذائية الأساسية ، واطلاق مقدار كبير في مجموعه من الأوكسجين الذي لا غنى عنه للحياة ، ويعزى الى فعل البلاكتون هذا سبعون في المائة من أوكسجين الأرض . فاذا هددت هذه الأحياء الدقيقة ، في أهم خواصها شأنا ، صار النظام البيئي الأرضي عرضة للخطر . وحسبنا أن نشير الى حادثة تدل على ما يحدثه تدخل الانسان من اضطراب في التوازن الحيوي في البيئة . ففي جزيرة ما ، في أحد المحيطات ، قامت حالة صحية اقتضت من ممثلي إحدى المنظمات الدولية أن تذر الناحية بمادة « د. د. ت » . ، ففتكت بالذباب ، ولكن المادة بقيت فعالة في الذباب فأكلتها السحالي على عاداتها ، فماتت ، فأكلت احررة أجسام السحالي ، فمات منها عدد كبير ، فاذا زاد عدد الجرذان ازديادا كبيرا ، واستفحلت شررتها عندما قل عدد احررة التي كانت تكبحها ، ففترت قرى عديدة ، فقام خطر نقلها للطاعون . فلم يجد ممثلو المنظمة مناصا يومتد ، من استيراد احررة بالطائرات واسقاطها بالمظلات ، حتى تستعيد الناحية شيئا من التوازن الحيوي في وحدتها البيئية .

ولادة « د. د. ت » . شقيقات ست في جماعتها « المواد الهيدروكربونية المكلورة » وبنات عم في الطائفة الثانية المعروفة بالمواد الفصفورية العضوية .

ومن الشقيقات ما هو طيار فيستنشق ، ويؤثر في الجلد الحي ، ويتراكم قليلا قليلا ، ومنها ما قد يحدث التهاب الكبد ، أو أنواعا غريبة من السقم الميت تصيب الماشية ، وثمة أخرى تؤثر في الأعصاب وتسبب التشنج وهي أشد فعلا من « د. د. ت » . أربعين أو خمسين ضعفا في بعض الطيور مثل التدرج والسلوى أو السماني . ويخشى أن يكون من أثر أخرى ، احداث العمق . فبعض طيور التدرج التي أجريت عليها التجارب ، أعطيت طعاما فيه قليل منها لا يكفي لقتلتها .

(٢) على وزن مهدرجة (من هيدروجين - hydrogen) مفصفرة (من الفصفور - phosphorated) مجبورة ، مبلورة وغيره . وذلك على التعريب وفق صيغة عربية الفت ، وكلمة مهدرجة أقرب الى (chlorinated) التي تعني ادخال الكلورين على الهيدروكربونات . (٣) حظرت وزارة الزراعة الأمريكية استعمالها على خمسين نوعا من الفاكهة والخضراوات ، وعلى أشجار الغابات ، والمواشي ، والمنازل ، وأعلنت انها قد توسع نطاق الخطر .

ولكن قل ما تطرحه من البيض ، وسرعان ما ماتت الصيصان المتولدة من بيضها . وكذلك جردان التجربة ، قل حملها ، وكان ولدها سقيما قصير الأجل . والشقيقة الأخيرة اتقها سمّا حتى لقد قال أحد الباحثين ، ان د. د. ت. يبدو بالمقارنة معها ، مادة سليمة .

أما بنات العم ، فهي طائفة المواد الفصفائية العضوية ، وهي كذلك بين أنقع المواد سما ، حتى ليصاب بتسمم حاد بها ، من يذرها أو يلامس خضارا ذر بها ، أو يمس علة فارغة كانت تحويها . وهي تعمل بوجه عام على تدمير الخمائر (الأنزيمات) التي يحتاج اليها الجسم الحي في القيام بعدد من وظائفه الحيوية ، فيحدث التشنج أو الشلل . وقد روي ، ان أحد الباحثين ، أراد أن يعرف مباشرة ، ما هي الجرعة في إحدى هذه المواد التي يستطيع الجسم البشري أن يحتفلها دون أن يصاب بأذى ، فخرج هو قدرا قليلا جدا

منها ، فأصيب بالشلل على التوّ ، قبل أن يتمكن من الوصول الى الترياق الذي أعده تحسبا وجعله في متناول يده . ولم يلبث حتى فارق الحياة . هذه جوانب وحسب ، من الصورة التي ترسم لآثار هذه المواد في الأحياء ، وفي البيئة التي يعيشون فيها ، والذين يرسمونها لا ينكرون ما كان لها من أثر طيب في الحد من بعض الأمراض والآفات . بيد ان هناك فئة من العلماء والباحثين ، ترى ان في الصورة مبالغة وان بعض النقد الموجه اليها لم يقم عليه دليل مقنع . ويذهب عالم ميكروبيولوجي ، حائز جائزة نوبل في الكيمياء ، ان المعرفة العلمية الوثيقة ، بكيفية تفاعل مادة د. د. ت. (وشقيقتها وبنات عمها) مع المواد الكيميائية في الجسم الحي ، لا تزال ضئيلة ، وتحتاج الى بحوث وتجارب دقيقة . ويرى عالم آخر وجوب وضع برنامج عالمي النطاق منسق ، لهذه البحوث .

ومن جملة الحقائق المتراكمة ، تجعل من العسير ، ابراء ذمة هذه المواد ، من كثير مما يسند اليها . وقد نقص ما يصنع منها نقصا كبيرا (٨٠٪ في الولايات المتحدة) . وحد من استعمالها ان أنواعا عديدة من الحشرات (يقدر بمائة وخمسين نوعا) قد ولدت أنواعا جديدة عسيرة على المبيدات ، ومن هنا أخذ العلماء يتجهون في دراستهم مكافحة الحشرات والآفات ، الى البحث في توليد أصناف من المحاصيل تحتوي في بنيتها ما يجعلها منيعة على الآفات ، فلا تكون ثمة حاجة الى رشها بالمبيدات ، أو انهم يسعون الى ابتكار طرائق جديدة للتغلب على الحشرات ذاتها ، بتعقيم ذكورها فلا تناسل حتى تنقرض ، أو باستدراجها بالضوء والصوت ثم القضاء عليها . وهذه وسائل لا تنطوي على أخطار د. د. ت. ومثيلاتها ، ولكنها لا تجاريها سرعة أثر وسعة نطاق

تتقيب

المقال « اسم العرب » مرارا ثبت لي من خلال درسه وتحقيقه ان الأستاذ الفضل صاغ الترجمة بأسلوب بديع ولغة سليمة خالية من التعقيد والتزمت ، وقد دلتني كل ذلك على نهارة الفضل وسمو أدبه ووفرة علمه فأليه مني الشكر والتقدير .

فلاستدلال على الترجمة عن الانكليزية ظاهر ، ينقل البحث على علاقة دون تحييص وتذليق في التواريخ والمراجع التي أوردها ، وهي غير مثبتة كما يتضح ذلك من البيان التالي ..

• أغلوس : Aechyllus وليس Aeshyllus التاريخ على قبر الملك الشاعر امرئ القيس يرجع الى سنة ٥٤٠ م ، لا الى سنة ٣٢٨ م . أي ان النص مسجل قبل الاسلام بنحو قرن تقريبا ، لا ثلاثة قرون .

• شلمنصر الثالث سنة ٨٥٤ ق.م. أما شلمنصر الثاني الوارد ذكره في المقال فقد حكم سنة ١٠١٠ ق.م.

• فوفرتان : لا أثر لهذه التسمية في الموسوعات الأجنبية والكتب التاريخية . ولعل السيد الفضل أراد « البارستان » بلاد البارتين ، سكان العراق القدماء وأكل حديث عنهم في تاريخ الملكة زونوبيا لتونيبي .

• فرفر : أين موقع هذه الفرفر ؟ هل تلفظ بالفاء أم بالفاء أم بالواو .. ؟ .

• سيلفون ! أم سيلقان ؟
• « ولا يخيم هناك عربي » لا أثر لهذه الآية في الاصحاح التاسع عشر من سفر اشعيا وليس امشعيا ، اذ لا وجود لهذا السفر ولا لهذه التسمية عند اليهود .

• أرميا الاصحاح ٢٥ « وكل ملوك العرب لسمان : حضريون ويديون » . الأصح « وكل ملوك العرب وكل ملوك اللقيف الساكنين في البرية » .
• الاصحاح ٢٧ حزقيال : العرب وكل رؤساء قيثار هم تجار يديك .. والأصح هم تجار يديك والخطاب لمدينة صور .

• قيثار : قيثار بكسر القاف كما تلفظ باليونانية والعبرية (أطلب دائرة معارف الكتاب المقدس وراجع اللفظ باليونانية أو العبرية) ، وقد نقلت الى اللغات اللاتينية الحديثة Kedar, Kidar

وأخيرا ، تتبعت المواضيع ووقفت عند قصة أليسا بقلم الأستاذ محمد العريضي قصة أدبية رائعة أضفلت أدهاء القرون الوسطى والفنانين حتى أواسط القرن الثامن عشر (أطلب الموسوعات الأجنبية وبخاصة الأنيسكلوبيديا الفرنسية - لاروس المصورة) .
Didon — Elissar, Elisa

• اليسار : الأصح اليسر ، بالصاد المشددة وباللغات الأجنبية نقلا عن اليونانية الفينيقية ، تكتب هكذا : Elissar, Elisa, ou Didon

• اسم أبيها - موطو Mutto أو بعل

• اسم زوجها رئيس كهنة صور : سيكار أو سيكار يلس Siccar, Siccarbas
سيخاربس Sicharbas

• اسم ملك البربر : هياربس أو جرباس Hiarbas ou Jarbas كما يلفظ باللغات

اللاتينية الحديثة . وليس اسمه « يابون » .. هذا ما عن لي كتابته اليك يا أستاذي النابه .. فان كنت قد أخطأت بمبادرتي هذه أم بملاحظاتني ، فحلمك أولى بالمعذرة وأوسع من تظلمي على مائدة معرفتك وعلمك وعلى دوحة أبحاث الأستاذين الأديبين ، وان كنت قد أصبت فذلك مما يسرني ويشرفني اذ أشعر بأن التنبيه الى شيء من ذلك ، يشجع الباحثين على اتحاف العالم العربي بدراساتهم الدقيقة .

وهكذا تجد يا أستاذي ان ما أنبت به ليس سوى ترجيع صدى علمك الواسع وأدبك الجم في هذه الشقة النائية من الأرض يردده باحترام واكبار كلي من لا تعرفه شخصيا ، وتربطك به وشائج لغة وجنس وعلم . ولشخصك الكريم أوفر التحيات وأوفى تجلة واعتبار

جورج لبنان
سنطوس - البرازيل

حكاية الزهر الإنشائية

قصتها
وآثارها
المكتشفة

بفلم الروايات محمد عبدالله عشان

لغة من الزمر المزعومة عن عليها بين الحماة

من الضواحي الملكية التي اشتهرت في التاريخ والشعر ، مدينة الزهراء الخليفة التي أنشأها الخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وهو السذي استطال حكمه خمسين عاما من سنة ٣٠٠ الى سنة ٣٥٠ هـ .

وكانت قرطبة حاضرة الأندلس العظيمة ، وبالرغم مما بلغته في عهد الناصر من الفخامة والرواء والسعة ، فقد أخذت تضيق بما يتطلبه ملك عظيم كملك الناصر من استكمال الفخامة الملكية ، والقصور والميادين الشاسعة . والرياض النضرة المترامية . وكانت الرصافة . وهي الضاحية التي أنشأها جده عبد الرحمن الداخل ، لتكون منزلا ومتنزا ملكيا . قد عفت وغاضت فخامتها . فاعتزم الناصر ، بعد أن بلغ ما أراد من توطيد ملكه ، وسحق خصومه في الداخل والخارج ، واتشح بثوب الخلافة المنيف سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) أن يعرض آيات من ملكه الشامخ ، وثاب له رأي في أن يقيم بجوار قرطبة ، ضاحية ملكية عظيمة . تكون له منزلا فخما . ومقرا لحاشيته وحكومته ، وعنوانا لسلطانه ، فأنشأ مدينة الزهراء .

ولسنا نقف عند القصة ، التي ينسب اليها انشاء الزهراء ، وهي ان الذي أوحى الى الناصر ببناء هذه الضاحية الملكية العظيمة هي جاريته وحظيته « الزهراء » ، بل نؤثر أن نرجع مشروع الناصر الى بواعث الملك والسياسة ، والى عرض عظمة الملك وفخامته .

وقد اختطت الزهراء في ساحة تقع شمال غربي مدينة قرطبة ، على قيد ستة أميال منها في سفح جبل يسمى « جبل العروس » . وكان البدء في انشائها في المحرم سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) وحشد الناصر لها أمهر المهندسين والصناع والفنيين من سائر الآفاق ، وجلب اليها أفخر أنواع الرخام الأبيض والملون . وكان يشتغل في بنائها كل يوم من العمال والفعلة عشرة آلاف رجل . واستمر العمل في منشأتها بقية عهد الناصر ، أعني مدة خمسة وعشرين عاما ، واستكملت في عهد ولده الحكيم . وقدرت النفقة على بنائها بثلاثمائة ألف دينار في العام . وأنشأ الناصر في حاضرتة الجديدة قصرا فخما لم يدخر وسعا في تنميق وزخرفته حتى غدا تحفة رائعة من الفخامة والجلال ، تحف به رياض وجنان يانعة . وأنشأ فيه مجلسا ملكيا جليلا سمي « قصر الخلافة » . وقد صنعت جدرانها من الرخام المزين بالذهب ، وفي كل جانب من جوانبه ثمانية أبواب ، قد انعقدت على

حنايا من العاج ، والأبنوس المرصع بالذهب والجوهر ، وزينت جوانبه بالتماثيل والصور البديعة . وفي وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق . وكانت الشمس اذا أشرفت على ذلك المجلس ، سطعت جوانبه بأضواء باهرة جذابة .

وزود الناصر مقامه في قصر الزهراء ، وهو الجناح الشرقي المعروف « بالمونس » بأنفس التحف والذخائر ، ونصب فيه الخوض الفاخر . المنقوش بالذهب ، الذي أهدي اليه من قيصر قسطنطينة . وأنشأ الناصر في الزهراء أيضا مسجدا عظيما تم بناؤه في ثمانية وأربعين يوما . وزوده بعمد وقباب فخمة ومنبر رائع الصنع والزخرف ، فجاء آية في الفخامة والجمال . وأنشئت بالزهراء مجالات فسيحة للوحوش ومسارح للطير مظلمة بالشباك . ودار عظيمة لصنع السلاح ، وأخرى لصنع الزخارف والحلى . والخلاصة ان الناصر أراد أن يجعل من الزهراء قاعدة ملكية حقة ، تجمع بين فخامة الملك وصوله السلطان المثلل ، وعناصر الادارة القوية المدنية والعسكرية .

واستمر العمل في منشآت الزهراء حتى وفاة الناصر في سنة ٣٥٠ هـ ثم استمر معظم عهد ابنه الحكيم . واستغرق بذلك من عهد الخليفين زهاء أربعين عاما . ولكنها غدت منزل الملك والخلافة مذ تم بناء القصر والمسجد في سنة ٣٢٩ هـ . وبذا كانت الزهراء ، الى جانب قرطبة ، أول منزل للخلافة الأموية في الأندلس .

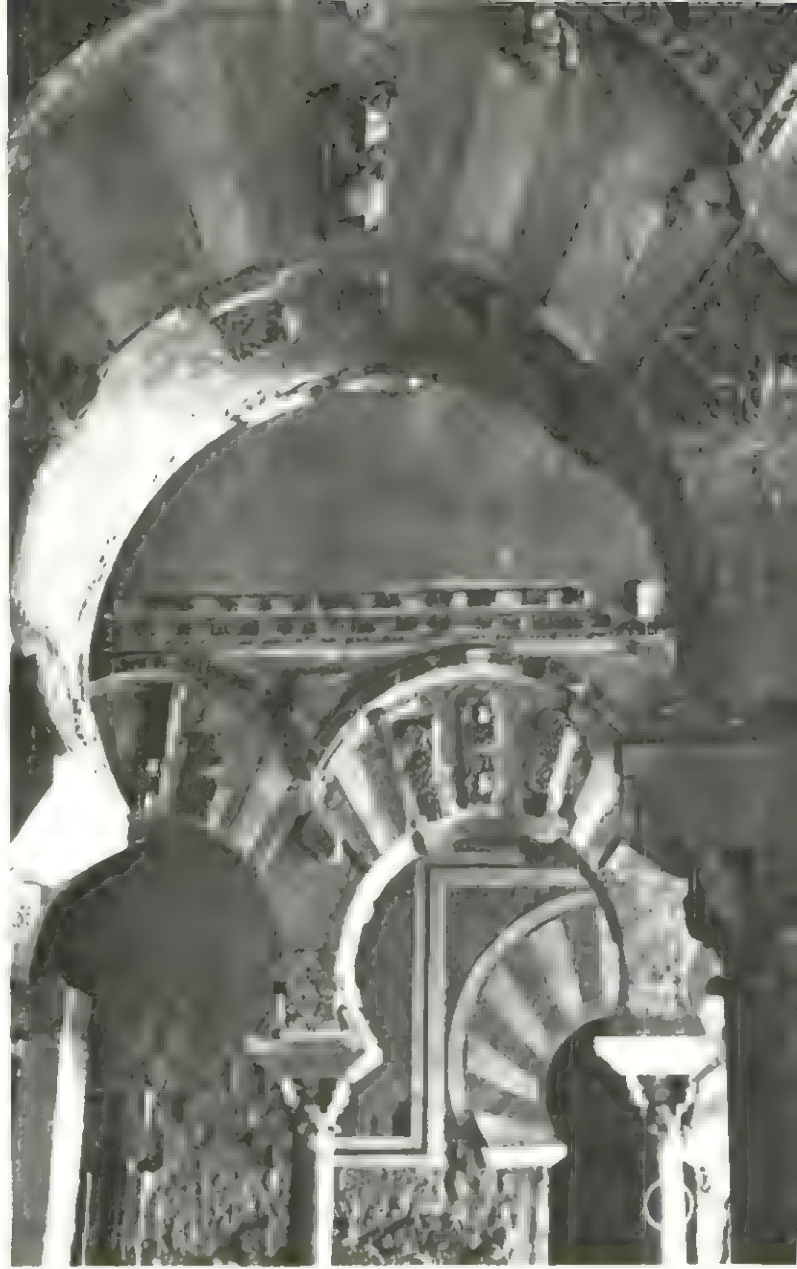
فانتهت البنا عن هذه الضاحية الملكية الشهيرة أوصاف وأرقام ، تظهر ما كانت عليه من الضخامة والفخامة . فقد ذكر « ابن حيان » مؤرخ الأندلس ان الزهراء كانت تشغل مسطحا قدره تسعمائة وتسعون ألف ذراع ، وان مبانيها كانت تشتمل على أربعة آلاف سارية « ما بين صغيرة وكبيرة » منها ما جلب من مدينة رومة ، ومنها ما أهدها قيصر قسطنطينة ، وان مصاريع أبوابها كانت تبلغ زهاء خمسة عشر ألفا ، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه . وذكر مؤرخ آخر ان عدد الفتيان بالزهراء كان ثلاثة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين ، وعدد النساء والحشم بالقصر ستة آلاف وثلاثمائة ، يصرف لهم في اليوم ثلاثة عشر ألف رطل من اللحم ، سوى الدجاج والحجل وغيرها ، وهذه الأرقام تنبئ بالفعل بما كانت عليه مدينة الزهراء من الضخامة والبذخ والروعة ، التي تكاد تفوق التصور والخيال .

بيد ان الزهراء لم تعمر طويلا كقاعدة ملكية ، فقد لبثت قاعدة الملك والخلافة زهاء أربعين عاما

فقط ، مذ نزل بها الناصر سنة ٣٢٩ هـ ، حتى نهاية عهد ابنه الحكيم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ ، ولم يكن ذلك لأن الزهراء قد عفت كقاعدة ملكية ، ولكن لأن تحولا خطيرا قد وقع في سلطان بني أمية عقب وفاة الحكيم وتولية ولده الصبي هشام ، حيث استطاع الوزير محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) أن يتغلب على الدولة وأن يحجر على الخليفة هشام ، ثم رأى بعد ذلك أن ينقل قاعدة الحكم من الزهراء الى ضاحية ملكية جديدة أنشأها لنفسه في شرقي قرطبة (سنة ٣٦٨ هـ) على نهر الوادي الكبير أسماها الزاهرة ، ونقل اليها خزائن الأموال والسلاح ودور الحكومة ، واتخذ لنفسه سمة الملك وتلقب بالحاجب المنصور ، وبذا انتهت حياة الزهراء الملكية .

ثم عفا عليها الزمن بعد ذلك تباعا ، حيث وقع انهيار بالدولة العامرية ، ثم انهيار الخلافة الأموية في أواخر القرن الرابع الهجري ، واضطربت الثورات المتعاقبة ، واقتحمت الزهراء وقوضت صروحها الفخمة ونهبت ذخائرها وتحفها ، وغمرها الخراب والنسيان . ولا يكاد اسم الزهراء يذكر بعد ذلك في التاريخ الأندلسي الا كآثر عصفت به صروف الدهر . وقد كانت الزهراء أيام مجدها وازدهارها وحي الشعر الرائع والخيال الخصيب ، وقد أشاد بجمالها وفخامتها جمهرة من أكابر شعراء الأندلس ، ثم رثوها بعد ذلك في قصائد مؤثرة . وما قاله « ابن زيدون » ، وهو من أعظم شعراء عصر الطوائف يشيد بالزهراء ورائع ذكرياتها :

خيلي لا فطر يسر ولا أضحي
فما حال من أمسى مشوقا كما أضحي
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل
أخص بممحوس الهوى ذلك السفحا
معاهد لذات وأوطان صبة
أجلت المعلتي في الأمانى بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبسة نازح
تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصير ملك أشرفت جنباتها
فلعلنا العشاء الجون أثناءها صبحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه
اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هناك الجمام الزرق تندى حفافها
ظلال عهدها الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شلو القبان خللاها
صدى فلووات قد أطار الكرى صبحا



١ - صورة مقربة لبعض العقود ورؤوس الأعمدة التابعة ليهو السفراء .

٢ - بهو السفراء أو « المجلس المونس » من الآثار التي عثر عليه علماء الآثار الأسبان بين حفائر مدينة الزهراء ، وقد رست القطع الزخرفية التي كانت تزين العقود والأعمدة على أرضه .

٣ - كان من بين ما عثر عليه في أنقاض مدينة الزهراء أعمدة من المرمر وبعض رؤوسها وقواعدها الزخرفية .



تلك هي قصة مدينة الزهراء المشجبة ، وقد لبثت بعد خرابها عصورا ، اسما يذكر فقط ، ولا نكاد منذ أيام الطوائف نظفر لها بذكر في صحف التاريخ الأندلسي .

ومنذ نحو قرن فقط عادت سيرة الزهراء وذكريات فخامتها الذاخرة ، تحتل المقام الأول في تاريخ اسبانيا العربية المعماري والفني ، واهتم العلماء الاسبان بالكشف عن معالمها وأطلالها الدارسة ، لما يليق به ذلك الكشف من أضواء هامة على أحوال الخلافة الأندلسية ونظمها الادارية والاجتماعية ، وعلى تطور الفن الأندلسي في أزهى عصوره . وعنت الحكمة الاسبانية منذ بداية القرن الحالي باجراء الحفريات الأثرية للكشف عن صروح المدينة الخليفية . وقد استطاع علماء الآثار الاسبانون خلال الخمسين عاما الأخيرة أن يكشفوا عن كثير من معالم الزهراء التاريخية ، ومواقع صروحها وأبنائها الملوكية .

وقد أتيح لنا أن نزور معالم الزهراء وأطلالها غير مرة . وتقع هذه الأطلال الضخمة على مقربة من غربي قرطبة ، وعلى قيد ميلين من شمالي نهر الوادي الكبير ، وتحتل منحدرًا صخريا وعرا ، يقع أسفل الأكمة التي يحتلها دير « سان خيرنمو » . وتسمى هذه المنطقة التي تحتلها أطلال الزهراء « قرطبة القديمة » Cordoba la Vieja وتشغل الحفريات الأثرية التي يقوم بها العلماء الاسبان منذ سنة ١٩١٠ منطقة واسعة تمتد ١٥١٨ مترا من الشرق الى الغرب ، و٧٤٥ مترا من الشمال الى الجنوب ، ومع ان هذه المنطقة لم تكتشف كلها ، فان ما كشف حتى الآن من أطلالها الضخمة ، ومن نقوشها وزخارفها ، يكفي لتكوين فكرة عامة عن هندسة المدينة الملوكية ، ومناعتها ، وفخامة صروحها .

وتنقسم أطلال الزهراء بصفة عامة الى مجموعات ثلاث ، مدرجة من أعلى الى أسفل . وتشمل المجموعة الأولى مواقع القصر الخلفي والمقام الخاص . وتشمل الثانية فيما يبدو مساكن الحاشية والحرس . وتشمل المجموعة الثالثة ، وهي الواقعة أسفل الروبة في بساتين معتدل من الأرض ، أربعة أفنية كبيرة عالية ، هي التي عني خلال الأعوام الأخيرة بضمها ، وإعادة تشكيلها ، فيما يظن انه البهو العظيم الذي كان مخصصا لاستقبال الملوك وأكابر السفراء .

وقد تم الكشف عن هذا البهو ، الذي يعتبر أعظم ما كشف حتى اليوم من آثار الزهراء ، في سنة ١٩٤٤ م ، ووجدت سائر حطامه وزخارفه مدفونة تحت الأنقاض . وقد عكف الأثريون الاسبان عدة أعوام ، على اقامة هذا الصرح وتنميته ، مما وجد في أنقاضه وأعمدته وزخارفه . وقد أقيم في وسطه ما اصطلح على تسميته « بهو السفراء » أو باسمه التاريخي « المجلس المونس » وهو عبارة عن أربعة أفنية متلاصقة ، تبلغ واجهتها نحو أربعين مترا ، وقد قسمت من الداخل الى ثلاثة أروقة مستطيلة يتوسطها رواق رابع ذو عقود من الجانبين . ويقوم كل فناء منها على خمسة عقود ، وقد ركب على هذه العقود ما وجد بين الأطلال من رؤوس وقواعد رخامية مزخرفة . وفي وسط الرواق الثالث عقد جميل عال يفضي الى بهو داخلي زين جانبا بالزخارف الرخامية . ويبلغ طول كل رواق من الأروقة المذكورة نحو عشرين مترا ، وعرضه نحو ثمانية أمتار . وقد صنعت العقود كلها على نمط واحد ، وزينت من أعلاها بما أمكن جمعه من القطع الزخرفية ، وقد شيدت هذه الأروقة على ارتفاع يبلغ نحو عشرة أمتار . وقد كشفت الحفريات الأخيرة عن مجموعة جديدة من الأطلال ، تقع أعلى هذه الابهاء من اليسار ، وهي عبارة عن مجموعة من الغرف السكنية وبهو مستقل ، وهي لا تفرق كثيرا عن غيرها من المجموعات الأخرى المماثلة ، من حيث التخطيط ، ولكنها تكشف عن حقائق معمارية وفنية هامة ، فهي المجموعة الوحيدة التي وجد بها أثر الدهان واضحا . وقد تبين ان لون الدهان الذي كان مستعملا في هذه المساكن (مساكن الحاشية) هو اللون الأحمر ، يحف به على ارتفاع نحو متر ونصف خط أبيض ، يعلوه خط أحمر . وتبين كذلك ان البلاط المستعمل في تغطية أرض الغرف هو أيضا أحمر اللون ، وهو عبارة عن قطع مربعة يبلغ ضلع الواحدة منها أربعين سنتيمترا .

والى جانب هذه المجموعات الجديدة من أطلال الزهراء ، توجد المجموعات القديمة ، وهي تشمل موقع القصر الخلفي ، الجدار الشمالي ، والفناءين التوأمين المتصلين بالمنحدر ، والفناء الصغير المتصل بقصر الخلفاء ، ومجموعة من مساكن الحرس . وترجع منطقة الجدار الشمالي الى عصر الناصر ذاته ، وهي من

منشآت في المرحلة الأولى من بناء الزهراء ، وقد أصلحت على امتداد سبعين مترا . وهذا الجزء من الجدار أمتن وأحكم صنعا من القسم نفسه الذي أعيد بناؤه فيما بعد في عهد الحكم المستنصر . أما عن الفناءين المتماثلين أو الفناءين التوأمين ، فيقع أولهما على بعد ثمانية أمتار أسفل القصر الخلفي ، ويشتمل كل منهما على بهو كامل . وهناك ما يدل على ان كلا منهما كان يحتوي على مجموعة من المساكن المتماثلة المخصصة لسكنى طائفة بارزة من البطانة أو الجند ويشغل الفناء الغربي رقعة ضخمة مربعة تقريبا ، تبلغ مساحتها نحو خمسمائة متر ، وبه أيضا بقايا أبنية سكنية . بيد أنه لم يكتشف في هذه المنطقة أبواب أو مداخل ، تكشف عن حقيقة نوع هذه الأبنية . والظاهر ان الفناء الشرقي كان موقع مسكن « للحریم » أو بعبارة أخرى كان جناحا للقصر الذي تسكنه النساء والأولاد حسبما تدل على ذلك آثار أبنيته ومرافقه .

وقد عثر المكتشفون ، الى جانب هذه المجموعات الضخمة من أطلال المدينة الخليفية على مجموعة كبيرة من القطع الزخرفية ، والعقود والأعمدة ، والألواح والأحواض الرخامية ، ومئات من القطع والأواني الزخرفية والبلورية . وقد جمعت كلها في متحف خاص أقيم عند مدخل « مدينة الزهراء » وعرضت فيه بعض القطع والأحواض الرخامية البديعة الزخرف والنقوش ، وبعض الأواني الخزفية والبلورية المصححة ، وأقيم الى جانب المتحف بهوان كبيران ، يفصل كلاهما بالقطع الزخرفية والبلورية المتكسرة التي يعكف الأخصائيون على فحصها وتصحيح ما يمكن تصحيحه منها . وكان من أنفس ما عثر عليه المكتشفون بين أطلال الزهراء تمثال لوعل من البرونز الأسمر الدقيق الزخرف ، وهو يحفظ اليوم في المتحف الأثري في مدينة قرطبة الى جانب عدة لوحات وقطع رخامية بديعة أخرى ، عثر عليها أيضا بين أطلال الزهراء . ويوجد نموذج من هذا الوعل محفوظ في متحف الزهراء الذي سبقت الإشارة اليه .

هذا ، ولعل حفائر الزهراء المقبلة تكشف لنا عن معالم كثيرة أخرى ، من ضروب الفخامة التي كانت تتسم بها المدينة الخليفية ، والتي تحدثنا عنها الروايات المعاصرة في دهشة واعجاب ■



• ما انفك المحققون يدأبون في اخراج كتوز الضاد المخطوطة وينشرونها نشرًا علميًا ويضيفون إليها ما يرتأون من تعليقات وهوامش وشروح تضيفي على هذه الآثار مزيدًا من النفاسة وتجعلها كبيرة الفائدة للمحدثين من الباحثين وطلاب العلم . ومن أنفس المخطوطات التي أخرجت أخيرا : « كتاب المناسك وأماكن الحج » للإمام أبي اسحق الحاربي ، وقد حققه العلامة الكبير الشيخ حمد الجاسر ، ونشرته دار اليمامة و « ديوان شعر الملتبس الضبي » برواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي ، وقد حققه تحقيقًا ممتازًا الشاعر الكبير الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، وصدر عن معهد المخطوطات العربية و « ديوان شعر الحادرة » أملاء أبي عبد الله بن العباس اليزيدي عن الأصمعي وقد حققه بعناية فائقة الدكتور ناصر الدين الأسد ، وصدر عن معهد المخطوطات العربية ، و « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني وقد حققه وقدم له الدكتور محمد أحمد خلف الله ، ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية ، و « الباب في شرح الشهاب » للقضاعي وقد حققه الدكتور أبو الوفا المراغي ، وصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، و « التنوير في اسقاط التدبير » لابن عطاء الله السكندري وقد حققه الأستاذ موسى محمد علي والأستاذ عبد العال العرابي وقدم له الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار ، وصدر عن مجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر و « نجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد » وهو معجم للشيخ ابراهيم اليازجي حققه وراجعته الأستاذة نديم آل ناصر الدين وصدر عن مكتبة لبنان . هذا ويعكف الشاعر الأستاذ حسن كامل الصيرفي على تحقيق « ديوان سلامة بن جندل » و « ديوان الحارث بن حنظلة » . أصدر العلامة الأستاذ خير الدين الزركلي كتاب « المستدرك الثاني » وفيه استدراقات جديدة على قاموسه الشهير « الأعلام » الذي ترجم فيه لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . ومن الدواوين الشعرية الجديدة التي ظهرت مؤخرًا هذه المجموعة : « صفارة الانذار » و « رباعيات » وهما للشاعر الأستاذ سعد البواردي ، وقد صدرا عن دار الاشعاع و « أساطير ملهمة » للشاعر الدكتور زكي المحاسني ، وقد صدر عن دار المعارف و « ينبوع الفضائل » وهو ديوان للشاعرة الأرجنتينية كرم كنسينو وقد ترجمه الأستاذ جواد ناصر ، ونشرته مجلة الحياة الجديدة بالأرجنتين و « قصائد شعبية » للأستاذ عبد الرحمن رفيع وقد نشرت في البحرين . وقيد الطبع ديوان الشاعر الكبير بدوي الجبل والجزء الثالث من ديوان « أغاني المزرعة » للشاعر المهجري الدكتور سليمان داود . وقد صدرت ملحمتان جديدتان مترجمتان

هما « ملحمة السيد » وقد كتبت في الأندلس باللغة القشتالية وتولى درسها الدكتور الطاهر أحمد مكي . ونشرتها دار المعارف ، و « ملحمة جلجاميش » وقد ترجمها الأستاذان محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي ونشرتها دار المعارف . من الأبحاث الإسلامية الجديدة ما يلي : الجزء الأول من « الفتاوى » للشيخ حسن مأمون ، وقد نشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية و « سورة الرحمن وسور قصار » من تأليف الدكتور شوقي ضيف ، وقد نشر عن دار المعارف والأجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر من « التفسير الفريد للقرآن المجيد » من تأليف الدكتور محمد عبد المنعم الجمال ونشر دار الكتاب الجديد و « الاسلام شريعة الله الخالدة » للأستاذ عبد العظيم منصور و « اعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق » للدكتور حفني محمد شرف و « الأخلاق وقواعد السلوك في الاسلام » للأستاذ عبد العظيم منصور و « من روائع الاعجاز في القرآن الكريم » للدكتور محمد جمال الدين الفندي و « في رحاب السنة » للدكتور عبد الله محمود شحاته و « أثر الاسلام في الخطابة العربية » للدكتور ابراهيم عوضين . وكلها من مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية و « الدين والعلم » للشيخ زيد بن فياض نشر الحجاز و « العالم الاسلامي المعاصر » للدكتور جمال حمدان ونشر عالم الكتب .

• أعاد مجمع اللغة العربية بدمشق طبع العدد الأول من مجلته بمناسبة مرور خمسين عاما على انشاء المجمع باعتبار هذا العدد تذكاريا ولنفاذه وصعوبة الحصول عليه . كما صدر أخيرا معجم « الرافد » للأثير أمين آل ناصر الدين .

• في الأدب الروائي صدرت طائفة من الكتب منها « طرائف القصص » للأستاذ علي الجندي العميد الأسبق لدار العلوم ، وقد نشرتها مكتبة الأنجلو المصرية و « من القصص الاسلامي » للأستاذ حسين الطوخي ، وقد صدر عن دار الشعب و « قلوب من زجاج » وهي رواية للأديبة السورية مسرة نعمان الطباع ، وقد صدرت عن مكتبة الأنجلو و « نور الظلام » وهي مسرحية للدكتور رشاد رشدي ، وصدرت عن مكتبة الأنجلو و « العين بالعين » مسرحية لوليم شكسبير ترجمها الدكتور زاخر غبريال وراجعها الدكتور عادل سلامة ، ونشرتها وزارة الارشاد الكويتية و « الليلة الأخيرة في القرن العشرين » وهي أقاصيص من الأدب الألماني ترجمها الأستاذان فوزي سليمان ونبيل راغب ، وصدرت في منشورات كتابات معاصرة . كما صدرت حكايات للأستاذ كمال الملاخ عنوانها « النار والبحر » وهي من توزيع الأهرام .

كذلك أخرج الأستاذ عدنان بن ذريل دراستين في الأدب المسرحي هما « مسرح وليد مدفعي » و « الدراسة النفسية لفن الوصف القصصي والروائي عند عبدالسلام العجيلي » ، وقد صدرتا عن دار الأجيال في دمشق . و « اللعبة » رواية للأستاذ يوسف الصائغ ، وقد نشرتها دار الكلمة ببغداد و « جاتسي العظيم » رواية لسكوت فرتزجيرالد ترجمة الأستاذ نجيب المانع ومراجعة جبرا ابراهيم جبرا ، ونشر دار الهلال و « قناع الكراهية » رواية لبربارة مكوروكوديل وقد ترجمها الأستاذ جرجس منسى وصدرت عن دار الكتاب الجديد و « أبو الريحان البيروني » مسرحية للأستاذ رشاد دارغوث صدرت عن مطابع الاسبوع العربي و « قلادة من شوك » أقاصيص للأستاذ رستم كيلاني قدم لها الأستاذ محمود تيمور وصدرت عن دار الكتب الجامعية بالقاهرة و « ١٤ يوليو » مسرحية لرومان رولان ترجمها الأستاذ عبد المسيح سبتي وراجعها الأستاذ حمادة ابراهيم ، وقد نشرتها وزارة الاعلام الكويتية .

• من كتب التراجم والسير التي صدرت وستصدر قريبا : « رشيد رضا » للدكتور أحمد الشرباصي ،

وقد نشره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية و « أعلام في الاسلام » للدكتور عبده بدوي ، وهو كذلك من منشورات المجلس الأعلى و « فهد العسكر : حياته وشعره » طبعة جديدة موسعة للأستاذ عبد الله زكريا الانصاري ، وصدرت عن رابطة أدباء الكويت ، و « بيتوهون » للدكتور حسين فوزي ، وقد صدر عن دار المعارف و « محمد عبد الوهاب » وهو دراسة عن المطرب المعروف أعضاها الأستاذ محمود عوض ، وقد نشرت في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف و « الجاحظ .. دائرة معارف عصره » و « ابن الرومي شاعر الغربة النفسية » و « المتنبي شاعر السيف والقلم » وأحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ » و « جبران خليل جبران عبقرى من لبنان » وجميعها للأستاذ فوزي عطري .

• في التاريخ العربي صدر كتاب « الملاحه في الخليج العربي » للأستاذ عيسى أحمد النشمي ، وقد نشرته مؤسسة فهد المرزوق الكويتية و « البطولة العربية في الأندلس وفرنسا » للأستاذ عبد العزيز حافظ دينا ، وقد صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية و « عبر وعبرات من دمشق والأندلس » للأستاذ جواد المرابط ، وقد نشرته دار العربية للطباعة والنشر في بيروت .

ويصدر قريبا للعلامة المؤرخ الكبير الأستاذ محمد جميل بيهم كتاب عن التاريخ العربي المعاصر .

• مجموعة من كتب التربية وعلم النفس صدرت أخيرا منها « الانسان وصحته النفسية » للدكتور مصطفى فهمي ، وقد صدر عن مكتبة الأنجلو ، و « مقدمة علم النفس التربوي الرياضي » للدكتور محمد حسن هلاوي ، وقد نشرته دار المعارف و « مبادئ التربية وطرق التدريس » للأستاذ عبد المجيد عبد الرحيم ، وقد صدر عن مكتبة النهضة المصرية و « المرجع في التربية الفكرية » للأستاذة لطفي بركات أحمد وعوض فرج جرجس ومحمود عويس الكومي وقد نشرته مكتبة النهضة .

• من كتب الادارة صدر عن دار المعارف كتابان هما « مبادئ المالية العامة - دراسة في الاقتصاد العام » للدكتور أحمد عبده محمود و « الادارة العلمية » للدكتور علي السلمي .

• من الكتب الدينية التي صدرت أخيرا « في مولد النبي » للسيد حسين الشافعي ، وقد نشرته دار المعارف في سلسلة « اقرأ » و « ذكر ودعاء » للأستاذ عبد الله أبو زينة ، وقد نشرته دار الشعب و « مذاهب الاسلاميين » للدكتور عبد الرحمن

بدوي ، وقد نشرته دار العلم للملايين و « المسلمون في أوربا في العصور الوسطى » للدكتور ابراهيم علي طرخان ، وهو من منشورات الألف كتاب . كما صدر كتاب « أحاديث الرسول » مبوآ بطريقة المعجم وقدم له الدكتور حسن عز الدين ، ونشرته دار النهضة العربية . « الاعلام في صدر الاسلام » هو آخر ما نشر من مؤلفات الفقيه الراحل الدكتور عبد اللطيف حمزة الذي أرخ للصحافة وعالج فنونها أستاذًا ومؤلفًا وقد صدر هذا الكتاب عن دار الفكر العربي .

• من كتب التراث التي حققت أخيرا « نفحة الريحانة وذيل نفحة الريحانة » للمحبي وقد صدر في ستة أجزاء بتحقيق الأستاذ عبد الفتاح محمد الخلو عن مكتبة عيسى البابي الحلبي و « اللب واللباب في غريب اللغة والحديث والكتاب » للشيخ محمد رضا الغزاوي وقد حققه الأستاذ السيد أحمد الحسيني ، ونشرته مطبعة الآداب في النجف ، كما أعد الأستاذ محمد قنديل البقلي كتاب « فهارس صبح الأعشى للقلقشندي » وراجعه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، وتولت نشره دار عالم الكتب .

• أصدر الأستاذ سعد الدريبي العدد الأول من كتاب « القبس » ، وهو دوري شهري يعنى بنشر العلوم والفنون والآداب ■

كتب مهذاه

حظيت مكتبة القافلة مؤخرًا بالمؤلفات التالية

• « الاسلام يتحدى » مدخل علمي للايمان ، تأليف الأستاذ وحيد الدين خان ، وتعريب ظفر الاسلام خـان ، ومراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين .

• « بحوث في الربا » للأستاذ محمد أبو زهرة .

• الفهرس الهجائي لكتاب « المغني » لابن قدامة في فقه الامام أحمد بن حنبل ، وهو من اعداد الاستاذ محمد سليمان الأشقر .

• « القرآن والقصة الحديثة » للأستاذ محمد كامل حسن .

• « بلاد زهران في ماضيها وحاضرها » . وهو دراسة شاملة للأستاذ محمد مسفر حسن الزهراني .

• « رحلة تنفليك الى المشرق » ترجمة الأستاذ محمود العابدي .

• « الشعر العربي في المهجر الأمريكي » وهو دراسة تحليلية للأستاذ وديع ديب ■

العنصر البشري وتأثيره على تطور الإنتاج الزراعي

بقلم الدكتور عبد الرحمن الصغير



الطماطم من المحاصيل الزراعية التي تنمو بنجاح في المملكة العربية السعودية .

ذات الجودة العالية والتي لها القدرة على المقاومة لمختلف الآفات الزراعية والأعشاب الضارة ، كما ينبغي القيام بالتجهيزات اللازمة لأنواع البذور المحسنة قبل الاهتمام بالتسميد والري وعمليات مكافحة .

معالجة التربة

أثبتت التجارب العلمية التي أجريت في مختلف مراكز الأبحاث الزراعية في العالم بأن تسميد التربة تسميداً جيداً يساعد على زيادة الإنتاج وتحسين نوعية المحصول ، مما يدل على أن التسميد له أهمية كبيرة في زيادة الإنتاج لا تقل عن أهمية العامل الوراثي نفسه .

وقد دلت هذه التجارب على أن مادة النيتروجين هي من أهم المواد المغذية التي ينضب مخزونها في الأرض نتيجة تكرار الزرع ، تليها بعد ذلك مادتا الفوسفور والبوتاس . ومن المواد الأخرى المغذية التي يحتاج إليها النبات بكميات ضئيلة لا اكتمال نموه ، الزنك (Zinc) والبورون (Boron) والمغنيزيوم (Magnesium) والمنغنيز (Manganese) . ويستحسن دائماً القيام بفحص التربة والنبات ، ومعرفة كميات المواد المغذية المتوفرة فيها قبل البدء بعملية التسميد ، وذلك للتعويض عما ينقصها من هذه المواد بإضافة المزيد منها بواسطة الأسمدة الكيماوية والعضوية . ويفضل دائماً الاكثار من استعمال الأسمدة العضوية في الأراضي الرملية الصحراوية المستصلحة .

استعمال مياه الري

يعتبر الماء عنصراً مهماً من عناصر الحياة النباتية ، وهو يؤثر إلى حد كبير في زيادة الإنتاج ونوعيته ، غير أن عدم استعمال المياه بالطريقة الصحيحة لا يسمح للعامل الوراثي أو لعامل معالجة التربة بزيادة الإنتاج ،

بالتبني تطور الإنتاج الزراعي ارتباطاً مباشراً بانماء العنصر البشري ، لذا كان لزاماً اختيار العناصر البشرية المؤهلة تأهيلاً علمياً لتأخذ على عاتقها مهمة رسم الخطة العلمية الزراعية المناسبة للبلاد . تلي ذلك مرحلة تطوير (Modernization) الفنيين والمرشدين الزراعيين بصورة متواصلة تتفق مع تطور العلوم الزراعية وذلك بتدريبهم على تفهم نتائج الأبحاث العلمية وتعميمها على المزارعين . على أن من أهم مقومات الانماء الزراعي هو تطوير عقلية المزارع نفسه وحثه على المواظبة على العمل عن طريق اطلاعه على نتائج الأبحاث التي تقوم بها المراكز العلمية أو الجامعات المحلية ، وتمكينه من تكييف ما تنتجه مختبرات البحث العلمي في الخارج ليأتي مطابقاً لطبيعة الأرض والمناخ وذلك بواسطة المرشدين الزراعيين ، أو عن طريق وسائل الاعلان المختلفة . هناك عوامل كثيرة تساعد إلى حد كبير على تطوير الإنتاج الزراعي ، أهمها ما يأتي :

العامل الوراثي

إن العامل الوراثي أو التكويني لنوع ما من أنواع البذور يعد من الخطوات الأساسية المهمة لرفع مستوى الإنتاج الزراعي . فأنواع البذور المنحدرة من السلالات المحسنة التي تأقلمت مع الظروف البيئية ، تفضل الأصناف العادية في قدرتها على الانتفاع من الماء والغذاء وضوء الشمس ، وكذلك في قدرتها على مقاومة الآفات الزراعية والأعشاب الضارة . ومن ميزات هذه الأصناف المحسنة أيضاً أنها تستطيع التفاعل بسهولة مع مختلف عمليات التسميد والري ورش المبيدات الكيماوية والمنشطات الهرمونية التي تؤثر عادة في زيادة الإنتاج .

لذلك ينبغي القيام بتربية سلالات جديدة من المحاصيل المحلية ، ودرس خصائصها الوراثية وامكاناتها الانتاجية ، واختيار أنواع البذور

وتحفظ الماء في خلايا النبات الداخلية مما يساعدها على تحمل العطش . ومن ناحية أخرى ، يقوم علماء علم الوراثة بإيجاد أصناف من البذور تنحدر من سلالات مقاومة للعطش وذات إنتاج عال ، مما يمكن الكثيرين من مزارعي المناطق القليلة الأمطار من مضاعفة محاصيلهم المزروعة في الأراضي البعلية .

ولتحقيق الغاية نفسها يجب القيام بطرق الري المختلفة لسد حاجات الزراعة من المياه . فبالإضافة الى حفظ المياه وتخزينها على سطح الأرض أو في جوفها أو في مجمعات خاصة من المنحدرات والسفوح في رقع زراعية محدودة (Water shed management) ، تقوم بعض البلدان بإنشاء محطات لتحلية مياه البحر وباستخدام المطر الاصطناعي ليساعد على انماء الموارد المائية .

ومن مشاكل الري التي تحدث في أنحاء مختلفة من العالم ، ان المياه الجوفية القريبة من الشواطئ البحرية تحتوي على نسب كبيرة من الأملاح وذلك بسبب تسرب مياه البحر الى الطبقة الجوفية التي تحفر فيها الآبار ، الأمر الذي يقلل من صلاحية هذه المياه لاستخدامها في أغراض الري . وقد يمتد تسرب هذه المياه الملحة أحيانا الى مسافة كيلومترين داخل الأراضي الساحلية ، وذلك نتيجة لكثرة الآبار المحفورة في منطقة واحدة ، مما يجعل الضغط في الطبقة الجوفية أقل منه في المنطقة الساحلية ، فينجم عن ذلك تسرب مياه البحر الى هذه الآبار .

وللتغلب على هذه المشكلة يجب وضع خطة لتحديد عدد الآبار المسموح بحفرها في منطقة معينة ، ثم تحديد كميات المياه التي تضخ من هذه الآبار ، وكذلك تحديد موعد ضخها . فلقد تبين من خلال الدراسات التي أجريت مؤخرا في عدد من الجامعات بأن ملوحة المياه تزداد بازدياد كميات الضخ في أشهر الصيف ، كما انها تزداد تبعا لازدياد عدد ساعات الضخ في النهار. لذلك يستحسن دائما ضخ المياه لفترة تتراوح بين أربع وخمس ساعات في الصباح فقط ، ثم التوقف قليلا زيثما تعود نسبة الملوحة الى طبيعتها .

مكافحة الأعشاب الضارة والآفات الزراعية

ان الطاقة الانتاجية للمحاصيل الزراعية المنحدرة بذورها من سلالات محسنة ، تتوقف ولا شك على الجهود التي تبذل في مكافحة الأعشاب الضارة والآفات الفتاكة وذلك بزرع بذور تنحدر من سلالات مقاومة للأمراض والحشرات ، وباستخدام الوسائل الميكانيكية والتربوية والبيولوجية . ولعل أفضل هذه الوسائل في اعطاء نتائج ملموسة وسريعة هي استعمال المبيدات الكيميائية بيد انها تتطلب حرصا وعناية بالغتين من قبل مستخدميها ، وذلك تفاديا للأضرار الصحية التي تنجم عن رواسب هذه المبيدات بعيد عملية الرش ..

مكافحة الأعشاب الضارة

تعد الأعشاب الضارة من المشاكل الرئيسية التي تتعرض لها زراعة المحاصيل والأشجار المثمرة . وذلك لأنها تنافس النبات في الغذاء والماء وفي الحصول على قسم وافر من أشعة الشمس مما يسبب نقصا في كمية المحصول وجودته وزيادة في تكاليف انتاجه .



أحد الخبراء الزراعيين يتفقد محصول الباذنجان في إحدى مزارع المنطقة الشرقية .

وذلك لأن التفاعل الذي يتم بين جميع هذه العوامل معا يساعد على تحقيق هذه الزيادة المتوخاة .

وتقوم مراكز البحث العلمي في أجزاء كثيرة من العالم بدراسة كميات المياه المتبخرة من التربة والنبات (Evapotranspiration) وذلك لتقدير متطلبات المزروعات من المياه وخاصة خلال مراحل النمو التي تمر بها النباتات في الأقاليم المختلفة . وتستعمل في هذه الدراسات عادة أجهزة ليسيومتر (Lysimeter) وأحواض خاصة لقياس كميات المياه المستعملة بالإضافة الى استخدام أجهزة الرصد الجوي الزراعي .

أما بشأن الطرق المتبعة في الري ، فان جر المياه بواسطة الأنلام لا بد أن تسبقها عملية تحضير وتقييم (Grading) كي تصبح الأنلام صحيحة الانحدار ، وبذلك تمتلئ الطبقة الجذرية بما تتطلبه من مياه دون الاضرار بها . أما تكون الانخفاضات في الأنلام (Water Logging) فيسبب الاختناق في الجذور .

ويعتبر استعمال المرشات (Sprinkler) في أغراض الري طريقة عملية توفر على المزارع كثيرا من المياه ، ولا تحدث انجرافا للتربة نظرا لتسرب المياه الى الجذور بشكل طبيعي وذلك لتشابه طريقة الري هذه بزيخات المطر الطبيعي . وقبل البدء باستخدام هذه المرشات يجب القيام بسلسلة من التجارب المحلية لتحديد أنسب الأوقات للري ، خاصة وان هذه العملية تتأثر الى حد كبير بسرعة الرياح واتجاهها . ففي المناطق المكشوفة ينبغي استخدام المرشات خلال الليل حينما تكون الرياح خفيفة . أما في الأماكن التي تستخدم فيها الحواجز الواقية من الرياح فان توقيت الري فيها يعتمد على المزارع نفسه .

ولزيادة انتاج المحاصيل في المناطق الحارة حيث يوجد نقص كبير في كمية المياه اللازمة لنمو النبات ، تجري الآن دراسات حول استعمال المواد المضادة للتبخ (Antitranspirant) وهي من نوع « البلاستيك » المسال الذي ترش طبقة خفيفة منه على الأوراق لتقلل من عملية التبخر أو التثح



جانب من مزرعة للخضراوات في المنطقة الشرقية وهي من المزارع التي كان للعنصر البشري أثر في تحسين منتجاتها .

تستطيع الجذور امتصاصها بواسطة أنواع خاصة من البكتيريا التي تعيش في درنات (Nodules) ملتصقة بها . فإذا صادف عدم توفر النوع الخاص من البكتيريا اللازم لتثبيت غاز النيتروجين في التربة المحيطة بجذور أحد أصناف البقوليات ، فإن مستوى المحصول الانتاجي يكون منخفضا .

لذلك ينصح بتشجيع المزارع على تطعيم بذور البقوليات من عدس وحمص وفول وفصة وكرسنة وغيرها بالنوع الخاص من البكتيريا التي تستطيع تثبيت نيتروجين الهواء في الجذور وذلك بالتكافل (Symbiosis) مع هذه النباتات . مما يغني المزارع عن اللجوء الى عملية التسميد الكيماوي من مادة النيتروجين .

البيوت البلاستيكية

تساعد البيوت الزجاجية على انتاج المحاصيل في غير مواسمها ، مما يدر على المزارع ربحا عاليا نتيجة تسويق هذا الانتاج الباكر . وقد حلت هذه البيوت المصنوعة من البلاستيك محل تلك المصنوعة من الزجاج نظرا لانخفاض تكاليفها . ومن ميزات هذه البيوت أنها تساعد على انتاج مختلف أنواع الخضار والأزهار المبكرة في غير مواسمها . لكونها تحفظ الرطوبة ودرجة الحرارة اللازمين لنمو النباتات . هذا ويمكن استعمال الغاز لتوفير الدفء داخل هذه البيوت عند الحاجة مما يوفر ثاني أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الغاز ، فيساعد بذلك على زيادة نشاط عملية « التمثيل الضوئي - Photosynthesis » . وبالإضافة الى ما تقدم ، يمكن استعمال التراب أو المواد الاصطناعية مثل « الفرميكولايت - Vermiculite » أو « المحاليل المغذية - Hydroponics » ووضعها في أحواض خاصة لزراعة الخضار في هذه البيوت البلاستيكية . وجدري بالذكر أن المحاليل المغذية قد استعملت منذ سنوات في بعض بلدان الخليج العربي لانتاج الطماطم على نطاق تجاري

تصوير : علي محمد خليفة ، وعلي عبد الله خليفة

مكافحة الأمراض الزراعية

ان الأمراض النباتية التي تعترى مختلف المزروعات تسبب تدينا ملحوظا في الانتاج . فدراسة مسببات الأمراض وطرق معالجتها وقايتها أو علاجيا ثم ايجاد السلالات النباتية المقاومة لهذه الآفات الزراعية ، تساعد على رفع مستوى انتاج المحاصيل وتحسين جودتها .

مكافحة الآفات الزراعية

ان مكافحة الحشرات الضارة بالمزروعات تساعد على زيادة الانتاج وتحسين جودة المحاصيل وتشجيع تصديرها للخارج . ومثال على ذلك فان ذبابة البحر الأبيض المتوسط والنمشات القشرية التي تصيب الحمضيات تعيق تصدير هذه المنتجات للخارج .

استعمال الآلات الزراعية

ان تدفق أهالي القرى الى المدن ، وغلاء اليد العاملة وعدم توفرها عند الطلب يتسبب في زيادة تكاليف انتاج المحاصيل . لذلك يستحسن استخدام الآلات والمعدات الزراعية لا سيما في الحقول المتسعة التي تزرع فيها الحبوب والشمندر السكري والبطاطا ، وكذلك في زراعة البساتين ، كما يستحسن دائما استخدام الآلات الصغيرة للزراعة والتفريد والحصاد ، والجارات الصغيرة في بساتين الأشجار المثمرة .

تطعيم البذور البقولية

من المعروف عن فصيلة البقوليات ان باستطاعتها تثبيت النيتروجين الموجود في الهواء وتحويله الى مادة نيتروجينية (نترات رقم ٣ - مغذية



الفلفل الأخضر من النباتات التي تنمو في المنطقة
الريفية من المملكة العربية السعودية .. رابع مقام
(بعض البشري وثانيه على الامتاع في رعيه) (تعود في رعيه)



الوسائط الكيماوية تلعب دوراً فعالاً في تهيئة المنتجات
البترولية وتحسين مواصفاتها . راجع مقال (التعديل للوسط الكيماوي)